المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651

العدد الثالث والعشرون / شباط 2024

الدور الحضاري والسياسي لسلاطين المماليك في مكّة المكرّمة (648-923هـ/1250-1517م).

The civilized and political role of the Mamluk sultans In Makkah Al-Mukarramah (648-923 AH/1250-1517 AD).

عامر عبد الله حميد
طالب ماجستير في الدراسات الإسلامية
جامعة الجنان، طرابلس، لبنان

إشراف الدكتور خالد قرحاني
قسم الدراسات الإسلامية
جامعة الجنان، طرابلس، لبنان

الملخص

الحضارة الإسلامية، على مرّ عصورها التاريخية بوجه عام، وعلى عصر سلاطين المماليك (648-923هـ/1250-1517م) بوجه خاص، حافلة بكثير من الأمثلة الدالة على الدور السياسي والحضاري لسلاطين المماليك في أنحاء العالم الإسلامي عامّة، وفي مكّة المكرّمة خاصّة.

كما يُعد عصر سلاطين المماليك من العصور المثيرة في تاريخ المنطقة العربية بوجهٍ عام، وبلاد الحجاز، ومصر، والشام بوجهٍ خاصّ، إذ يمثّل منعطفاً مهمّاً في تاريخ الشرق الأدنى عامّة، والمنطقة العربية خاصّة، حيث نجح سلاطين المماليك في استكمال المهمّة التاريخية للدولة الأيوبية (569-648هـ/1174-1250م)، التي لعبت دوراً مهمّاً في مواجهة الخطر الصليبي على بلاد مصر والشام، وحماية الأراضي الإسلامية من اعتداءاتهم المستمرّة، لا بل نجح الأيوبيون في الإنتصار على الصليبين وغيرهم من القوى الأجنبية، وبمقتل "توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب" سنة (648هـ/1250م) وتولّي "شجرة الدرّ" للحكم، كان ذلك نهاية حكم الأيوبيين وبداية حكم

دولة المماليك الذين حرصوا على الظهور دوماً بمظهر القوة المدافعة عن الإسلام والمسلمين، وحماية مقدساتهم، والتي تمكّنت من القضاء على الكيان الصليبي (الإفرنجي) تحت سماء الشرق العربي الإسلامي، وفوق أرضه سنة (690هـ/1291م)، كما أنّها تمكّنت من إيقاف الغزو المغولي، وتحويل المغول (التتار) بعد مدّة وجيزة إلى الإسلام.

ووجه الأهمية في دولة سلاطين المماليك أن مركز الدراسات الإنسانية، بعد سقوط بغداد سنة (656هـ/1258م)، كان قد انتقل إلى هذه الدولة في شتى أقطارها، في عاصمتها القاهرة في مصر، وفي دمشق والقدس وغيرها من بلاد الشام، ومكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة في بلاد الحجاز، وفي العصر المملوكي بشقيه، عصر المماليك البحرية (648-784هـ/1250-1382م)، وعصر دولة المماليك الجراكسة (784-923م/1382-1517م). شهدت المجتمعات في مصر، ومجتمعات بلاد الشام والحجاز نوعاً من التقدّم الحضاري الذي عمَّ البلاد في ذلك العصر، وقد حظيت مكّة المكرّمة على جلّ عناية ورعاية سلاطين المماليك، ما كان انعكاسه على ازدهار الحياة السياسية والحضارية في مكّة المكرّمة، كما حرص سلاطين المماليك على الدعم المادي والمعنوي للمنشآت الخيرية في مكّة المكرّمة، لذلك لا بدَّ من تسليط الضوء على الدور الحضاري والسياسي لسلاطين المماليك في مكّة المكرّمة (648-923هـ/1250-1517م)، وذكر دورهم في التقدّم الحضاري في مكّة المكرّمة ومدى سيطرتهم على الأمن فيها.

أولاً – الدور السياسي لسلاطين المماليك في مكّة المكرّمة

تمهيد :

نشأ المماليك في حجر سادتهم ملوك بني أيوب، ومنذ اللحظة الأولى التي أعلنوا فيها دولتهم، أظهروا تمسكاً شديداً بما كان سائداً في العصر الأيوبي من نظم ورسوم، كما أعتبروا أنفسهم ورثة الأيوبيين ليس في مملكاتهم فحسب، بل أيضاً في سياستهم الخارجية تجاه القوى المعاصرة سواءً الصديقة أو المعادية.

وبطبيعة الحال كان للمماليك نفس السياسة التي اتّبعها بني أيوب تجاه مكّة المكرّمة وحكّامها من الأشراف، وقد دخلت إمارة مكّة المكرّمة تحت نفوذ المماليك في عهد الأمير الشريف

أبي نمى بن أبي سعيد الحسني في سنة **(667هـ/1268م)**[1]، ومنذ ذلك التاريخ حرص سلاطين المماليك على تبعية مكّة لسلطانهم، وإبعاد نفوذ أي سلطة أخرى تحاول التدخّل في الشأن السياسي لها، وذلك منذ حج السلطان بيبرس البندقداري[2] في عام **(667هـ/1268م)**، حيث أخذوا يفرضون على أمرائها شروطهم وطلباتهم، ويصدرون المراسيم بتوليتهم من قبلهم، وأصبح يذكر أسماء سلاطينهم على منبر المسجد الحرام، وكان أبو نمى يتعهد بتنفيذ ما يُطلب منه ويُقسِم على ذلك[3]، ممّا يدل على أنَّ أبا نمى كان يقدّر قوة المماليك ويعرف كيفية التعامل معهم حتى يحافظ على بقائه في إمارته.

المبحث الأول: أحوال مكّة السياسية ودور سلاطين المماليك في الصراع بين الأشراف:

اعترف السلطان الظاهر بيبرس**(658-676هـ/1260-1277م)** بأبي نمي حاكماً منفرداً على مكّة واشترط عليه:"تسهيل بيت للعاكف والبادي، وألاّ يؤخذ عنه حق، ولا يمنع زائر في ليلٍ أو نهار، ولا يتعرّض لتاجر ولا لحاج بظلم، وأن تكون الخبطة والسكّة له، ولأبي نمى على ذلك عشرين ألف درهم نقرة"،[4] أمّا إدريس فبعد أن هدّد أبا نمى، اصطلح معه واشتركا في حكم مكّة، واتفقا على طاعة الظاهر بيبرس.[5]

---

(1) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، مصدر سابق، ج2، ص62.

(2) هو الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس بن عبدالله البندقداري الصالحي النجمي، تولى السلطنة يوم الأحد سابع ذي القعدة سنة 658هـ/1260م، صبيحة قتل المظفر قطز، وتوفي يوم الخميس التاسع والعشرون من المحرم 676هـ/1278م بدمشق، للمزيد انظر ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج7، ص94- 258.

(3) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، مصدر سابق، ج5، ص447؛ الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج1، ص125؛ المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، القاهرة، 1955م، ص85؛ بن فهد، عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي (ت923هـ)؛ **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ط1، 1986م، ج1، ص641.

(4) الدرهم النقرة (أي البيضاء): وتتألف من فضة ونحاس: الثلثان فضة والثلث نحاس، والعبرة في وزنها بالدراهم وهو أربعة وعشرون قيراطاً، والنقرة معدن الذهب، وقد شاعت الدنانير والدراهم النقرة المعروفة بالكاملية والمنسوبة إلى السلطان الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وتعرضت العملة الذهبية في العصر المملوكي للتلاعب في عيارها ووزنها وتعديل حجمها، للمزيد انظر: القلقشندي، أبي العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج3، ص443.

(5) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج1، ص459.

ونتيجة لذلك أصبحت مكّة تحت حكم الدولة المملوكية، وأصبح كلاً من أبي نمى وإدريس نائبين للسلطنة المملوكية يحكمانها بموجب التقليد الممنوح لهما من قبل السلطان المملوكي، وعلى الرغم من ذلك فقد كان أبو نمى وإدريس يضمران الغدر لبعضهما، حيث يطمع كلٌ منهما في الإنفراد بالسلطة وإقصاء الآخر، وقد حدث بينهما العديد من الحروب والمكايد انتهت بانتصار آل أبي نمي وانفراده بالسلطة بعد قتله للشريف إدريس في مواجهة بينهما سنة **(669هـ/1271م)**، وعاد إلى حكم مكّة وذلك في سنة **(670هـ/1272م)**.[1]

وقد وصلت هذه الأخبار إلى الملك بيبرس في مصر **(658-676هـ/1260-1277م)**، الذي كان حريصاً على استمرار ربط مكّة المكرّمة بحكمه في مصر، فكتب إلى أبي نمى عام **(675هـ/1277م)** كتاباً شديد اللهجة جاء فيه:"من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسب أبي نمى محمد بن أبي أسعد..أمّا بعد: فإن الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوّة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوّة أسوء، وقد بلغنا عنك أيّها السيد أنّك أبدل حرم الله بعد الأمن بالخيفة وفعلت ما يحمر به الوجه، وتسود به الصحيفة، ومن القبيح كيف تفعلون القبيح وجدُّكُم الحسن، وتقاتلون في الحرم حتى تكون العبر، هذا وأنت من أهل الكرم وسكّان الحرم، فكيف آويت المجرم واستحللت دم المحرّم، ومن يهن الله فماله من مكرم، فإمّا أن تقف عند حدّك وإلاّ أغمدنا فيك سيف جدّك والسلام".[2]

(1) ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج2، ص14.

(2) ابن فهد، المصدر نفسه، ج2، ص24.

ISSN: 2709-5312

اعتذر أبو نمي عمّا حدث لكن اعتذاره لم يكن خالصاً، فقد دخل في العديد من النزاعات داخل مكّة ومع السلاطين، وظلت مكّة تعاني من عدة مشاكل سياسية نتيجة لجفاء العلاقات بين أبي نمي وأصحاب مصر من المماليك.[1] فكان أبو نمي أول من خرج عن طاعة المماليك فقد

انتهز فرصة انشغال المماليك بمواجهة الاضطرابات التي سادت البلاد عقب وفاة السلطان بيبرس **(676هـ/1277م)**، فأعلن ولاءه لليمن واستقلاله بمكّة.[2]

قد نجح السلطان المنصور قلاوون **(678-689هـ/ 1279-1290م)**، طوال فترة حكمه في السيطرة على الحجاز، وتحقيق الإعتراف بسيادة المماليك عليها، ولكنَّ مكّة قد مرّت بالعديد من الاضطرابات والنزاعات على الإمارة، تدخلت فيها اليمن عسكرياً سنة **(683هـ/ 1284م)** لمساعدة أحد الأطراف المتنازعة، غير أنَّ أبا نمي تمكّن من إخراجهم بالقوة من مكّة، وعمل على معاقبة اليمنيين بزيادة المكوس التي تؤخذ منهم.[3]

وردّاً على ذلك وتأكيداً لسيادة المماليك على مكّة وصداً لسعدون آل رسول، قام السلطان قلاوون بإرسال نائباً من قبله في سنة **(683هـ/1284م)**، مع قوّة عسكرية بلغ عددها ثلاثمائة فارس لإقرار الأوضاع في الحجاز وتوجّهوا إلى مكّة بصحبة الحاج، ولكن لم يخرج أبو نمي للقائهم وبعث قواده، وصدّ الحاج عن دخول مكّة وأغلق أبوابها، ولكنّهم استطاعوا دخول مكّة عنوة بعد محاصرتها وإحراق باب المعلاة،[4] وقد أدّى ذلك إلى فرار أبي نمي من مكّة زمن الحج، وقد صادف ذلك أن خرج بعض العسكر إلى مِنى فتعرّض أبو نمي لهم ونهبهم وقام بقتل أميرهم ثمَّ دخل مكّة وهزم من بها من جند المماليك، وعندما علم السلطان قلاوون بذلك قرر الإنتقام من شريف مكّة أبي نمي، ولكن أبي نمي سارع بالإعتذار إليه والتودّد له بالهدايا حتى رضيَّ السلطان قلاوون عنه.[5]

---

(1) السباعي، أحمد، **تأريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، نشر الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة**، المملكة العربية السعودية، 1999م، ص296.

(2) الفاسي، **العقد الثمين**، المصدر سابق، ج1، ص462.

(3) المقريزي، **السلوك**، مصدر سابق، ج2، ص137.

(4) الفاسي، **شفاء الغرام** ، مصدر سابق، ج2، ص240-241؛ ابن فهد، غاية المرام، مصدر سابق، ج2، ص26.

(5) السباعي، **تأريخ مكة**، مصدر سابق، ج1، ص297-298.

ISSN: 2709-5312

وقد حاول السلطان قلاوون أن تستمر سيادته على مكّة، فقام بإرسال جيشاً في سنة **(678هـ/1288م)**[1]، أو سنة **(688هـ/1289م)**[2] لمساعدة جماز بن شيحة صاحب المدينة على أخذ مكّة وإخراج أبي نمي منها، فخطب لجماز هذه السنة، وضربت السكّة باسمه وبقى بمكّة مدّة قصيرة، ثمَّ رحل عنها وهو عليلٌ خوفاً من أبي نمي، فعاد أبو نمي إلى مكّة وتفرّد بحكمها حتى توفي سنة **(701هـ/1302م)**، وقد تخلّل خلال هذه الفترة من حكمه فتنة مشهورة حدثت سنة **(689هـ/1290م)**، بينه وبين الحاج شُهرت فيها السيوف وكثر القتل وتعرضت الأموال والمتاجر للنهب.[3]

وبعد وفاة السلطان قلاوون خطب أبو نمي للملك المظفر صاحب اليمن وقطعت خطبة خليل بن المنصور قلاوون[4]... وكان قد خطب له في أول سنة **(691هـ/1292م)** وبهذا العمل تمكّن بنو رسول في النجاح بالخطبة على منابر مكّة،[5] ومع تزايد العلاقات بين مكّة واليمن خرج المحمل اليمني سنة **(696هـ/1297م)** بعد انقطاع لمدّة من الزمن، وكسا صاحب اليمن الكعبة ورفرفت رايته على جبل عرفات ودعى له في موسم الحج.[6]

وذكر الفاسي سبب تقديم أبي نمي لصاحب اليمن على صاحب مصر إلى الأموال الكثيرة التي أرسلها الملك المؤيد وكانت من العين الذهب والغلة والكساوي والطيب من المسك والعود

---

(1) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج1، 462.

(2) السباعي، **تأريخ مكة**، مصدر سابق، ج1، ص301.

(3) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج1، 466.

(4) السلطان المنصور قلاوون: سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي أحد أشهر سلاطين المماليك ورأس أسرة حكمت مصر والمشرق العربي على مدار قرن من الزمان، كان من رجال الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأبلى بلاء حسناً في معركة المنصورة، وعلا شأنه بعد ذلك، فكان من كبار الأمراء، كان من رجال الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأبلى بلاء حسناً في معركة المنصورة، وعلا شأنه بعد ذلك، فكان من كبار الأمراء أصحاب النفوذ في دولة بيبرس، تولى السلطنة في سنة 678هـ/1279م خلفاً للملك الصغير العادل بدر الدين سلامش، وذكرت أغلب المصادر عن لقب الألفي وهو لقب أُطلق على السلطان المنصور قلاوون وذلك نسبةً إلى قيمته، فقد اشتراه أستاذه الأمين علاء الدين بألف دينار، وقد ارتفعت قيمته لحسن سيرته، جاهد الصليبيين سنة 684-1285م وفتح حصن المرقب وبانياس، وفي سنة 688هـ/1289م فتح طرابلس (الشام) بعد حصارها، عزم السلطان على المسير إلى عكا لكن توفي بقلعة الجبل بالقاهرة في سنة 689هـ/1290م، دفن في تربته الملحقة بمدرسته العظيمة بين القصرين، انظر المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج2، ص122-123.

(5) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج1، ص463.

(6) المقريزي، **السلوك**، مصدر سابق، ج2، ص282.

ISSN: 2709-5312

والصندل والعنبر والثياب الملونة والخلع النفيسة، وقد قدّر مبلغ العين بثمانين ألف درهم ومبلغ الغلة بأربعمائة مُد أي ما يعادل ألف ومائة غرارة مكية،[1] وقدّر الجميع بما يوازي ثلاثة أمثال ما ترسله مصر سنوياً،[2] وعلى الرغم من ذلك أطلق الشريف أبو نمي يديه في فرض المكوس على اليمنيين.[3]

واستمر حكم أبو نمي لمكّة حتى وفاته عام **(701هـ/1302م)**،[4] وبموته بدأت الصراعات بين أبنائه الأمر الذي أدّى إلى إرهاق الناس بمكّة وضايق الحجاج، وذلك أنه بوفاة أبو نمي تولّى حكم مكّة إثنان من أبنائه وهما: حميضة[5] ورميثه،[6] ولكن عارضهما اثنان من إخواتها وهما: عطيفة[7] وأبو الغيث،[8] وكان لهذا الخلاف آثاراً كثيرة على الوضع السياسي والأمني بمكّة

---

(1) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج1، 464.

(2) السباعي، **تأريخ مكة**، مصدر سابق، ج1، ص300.

(3) الجزيري، عبدالقادر محمد بن عبدالقادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي (ت977هـ)، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 2002م، ص385.

(4) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج1، 466.

(5) هو حميضة بن أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة أمير مكة، تولى إمرة مكة أربع مرات، مرتان شريكاً لأخية رميثة، ومرتان مستقلاً، وكان شجاعاً مقداماً مات قتيلاً سنة 720هـ/1320م، انظر ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج7، ص97؛ اليافعي، أبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (ت768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1997م، ج4، ص197.

(6) هو رميثة بن أبي نمي بن حسن الحسني المكي، يُلقب أسد الدين، ولى إمرة مكة حوال 30 سنة في سبع مرات مستقلاً بذلك 14 سنة، وشريكاً لأخيه حميضة مرتين وشريكاً لأخيه عطيفة أزيد من خمس سنين، مات سنة 746هـ/1346م بمكة، للمزيد انظر ابن العماد، **شذرات الذهب**، مصدر سابق، ج8، ص257–258.

(7) هو عطيفة بن أبي نمي محمد بن حسن الحسني المكي، يلقب سيف الدين، أمير مكة ولى إمرة مكة حوالي عشرة سنة مستقلاً بها وفي بعضها شريكاً لأخيه رميثة، توفي بمصر سنة 743هـ/1343م، للمزيد انظر ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دائرة المعارف العثمانية– حيدر آباد، 1993م، ج2، ص456–457.

(8) هو أبو الغيث بن أبي نمي محمد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي، ولى إمرة مكة في سنة 701هـ/1302م شريكاً لأخيه عطيفة وعزل سنة 704هـ/1305م، ثم ولى الإمرة سنة 713هـ/1313م، ثم أخرج من مكة لزحف أخيه حميضة عليه سنة 714، فلحق بقبيلة هذيل، للمزيد انظر الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج6، ص307.

المكرّمة حيث انقسم الناس وتشتتت آرائهم في تأييد الأخوة، وكان بعض قادة الحملات التي تحمي الحجاج يميلون إلى تأييد بعض الأخوة ضد البعض الآخر ممّا أدّى إلى استمرار النزاعات بين الأخوة لفترة طويلة، ومن ذلك تأييد قائد الحملة المصرية عام **(701هـ/1302م)** الأمير بيبرس[1] الجاشنكير للأخوين المعارضين وقد ساعد الأخوين على الإستيلاء على حكم مكّة والقبض على أخويهما حميضة ورميثة وسجنهما في مصر[2]، واستمرا في حكم مكّة حتى عام **(704هـ/1303م)**، حيث أُطلق سراح أخواهما من سجنهما في مصر وتمَّ توليتهم مكّة المكرّمة بموجب مرسوم من السلطة المملوكية وعزل أخويهما عطيفة وأبي الغيث وكانا بصحبة حملة عسكرية لتنفيذ أوامر الدولة ولحماية الحجاج.[3]

ولكن لم يستمر حكمهما لمكّة طويلاً فقد تغير الحكّام المماليك على نائبهما على مكّة الشريف حميضة ورميثة وذلك لما وصل للسلطان المملوكي عن فرض حكّام مكّة الضرائب على الحجاج، فضلاً عن تعرّض الحجاج للحوادث على طريق الحج والطرق المؤدية إلى المشاعر المقدسة ممّا يدل على عدم استطاعتهما حفظ الأمن في مكّة، لذلك قررت الدولة عزلهما وتعيين أخيهما أبي الغيث وذلك في عام **(713هـ/1312م)** [4]، وحكم مكّة ولكن لم يهدأ الأخوه بل فقد أخذا يثيران ضده الناس ويهاجمانه باستمرار.

وفي عام **(714هـ/1313م)** تمكّن حميضة في الإستيلاء على حكم مكّة من أخيه أبي الغيث وقتله وذلك بعد خروج الجيش المملوكي[5]، وفي هذه الأثناء سافر الشريف رميثة إلى مصر وأعلن الولاء والطاعة للسلطان المملوكي والخطبة للسلطان ممّا جعل السلطة المملوكية تؤيده بقوة وبذلك استطاع إنتزاع حكم مكّة من أخيه حميضة وذلك في عام **(715هـ/1314م)**[6]، ونتيجة

---

(1) هو السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبدالله المنصوري الجاشنكير، أصله من مماليك المنصور قلاوون، كان جركسي الجنس، ويعتبر أول سلطان من الجراكسة حكم مصر، أخذ يترقي في مناصب الدولة من عهد الملك الناصر قلاوون، تولى الملك الناصر قلاوون، تولى الملك بعد خروج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الملك بإرادته سنة 708هـ/1308م، وخو السلطان الحادي عشر من المماليك في مصر قُتل سنة 709هـ/1309م، للمزيد انظر ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج8، ص232.

(2) المقريزي، **السلوك**، مصدر سابق، ج2، ص349.

(3) المقريزي، **المصدر السابق**، مصدر سابق، ج2، 383.

(4) الجزيري، **الدرر الفرائد**، مصدر سابق، ص389.

(5) الجزيري، **المصدر نفسه**، ص389.

(6) المقريزي، **السلوك**، مصدر سابق، ج2، ص503.

ISSN: 2709-5312

لذلك توجّه الشريف حميضة إلى حكومة العراق الدولة الإلخانية، حيث أمدته بقوة مقابل الدعاء لحكومة العراق على منابر مكّة، ممّا يؤيّد تنافس حكّام العالم الإسلامي على منبر مكّة المكرّمة لما له من دور روحي لدى عامة المسلمين، وفي عام **(718هـ/1317م)** استطاع حميضة دخول مكّة والدعاء لحكام العراق ممّا أثار ذلك حفيظة المماليك في مصر وعجّل بنهاية حكمه لمكّة المكرّمة، حيث قام المماليك بتجهيز قوة عسكرية لمساعدة الشريف عطيفة على دخول مكّة وقتل أخيه الشريف حميضة وذلك في عام **(719هـ/1318م)**، وفي هذا العهد حج الملك المناصر حجته الثانيه، واصطحب معه نحو خمسين من أمراء المماليك وكثيراً من أعيان دولته في الشام ومصر وأنفق في سبيل الإحسان أموالاً كثيرة[1].

وقد تولّى الشريف عطيفة حكم مكّة المكرّمة إلى عام **(730هـ/1329م)** حتى ثار عليه أخوه رميثة وانتزع منه مكّة، وقد اشتدَّ الصراع والنزاع بين الأخوين ممّا أثّر ذلك على أمن الحجاج وسكّان مكّة تأثيراً كبيراً وأدّى إلى قلّة المؤن، وعندما رأت الدولة المملوكية أنَّ الشريف رميثة أقدر على استتاب الأمن من أخيه عطيفة أرسلت له تأييداً بتعيينه حاكماً وأمدته بقوة وذلك في عام **(731هـ/1313م)**[2]، ولكنَّ الشريف عطيفة لم يعجبه ذلك فأستمرّ على مناوأته لأخيه ممّا جعل السلطة المملوكية تشركه مع أخيه في حكم مكّة عام **(734هـ/1334م)**[3]، ولكنَّ هذا الأمر لم ينهي الصراع والنزاع بين الأخوين ولم تستقر الأمور بينهما إلاّ بوفاة الشريف عطيفة في مصر عام **(743هـ/1343م)**[4]، وبوفاته استقر الأمر لرميثة.

وقد نجح الشريف رميثة بالإستقلال في حكم مكّة، واستمرّ يحكمها حتى عام **(746هـ/1345م)**، ثمَّ تنازل لابنه عجلان[5] عن الحكم، وقد أيدته السلطة المملوكية في مصر

---

(1) السباعي، **تأريخ مكة**، مصدر سابق، ج1، ص306.

(2) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج4، ص188-189.

(3) ابن فهد، **المصر نفسه**، ج4، ص204.

(4) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج5، ص212.

(5) عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي، ولى إمرة مكة حوالي ثلاثين سنة مستقلاً بها مدة، وشريكاً لأخيه ثقبة، وشريكاً لابنه أحمد مدة، وكان بداية تولية عام 746هـ/1345م بأمر الملك الصالح محمد قلاوون، للمزيد انظر الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص189؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،ط2، ص1998م، ج1، ص442.

ISSN: 2709-5312

وذلك لكب الشريف رميثة وعجزه، ولتجنب إثارة ابنه عجلان الذي ظهره طموحه وتطلعه للحكم منذ عام **(744هـ/1343م)**.[1]

ولكن بعد أن تولّى الشريف عجلان حكم مكّة نافسه إخواته الثلاثة سند[2]، ومغامس[3]، وثقبة[4]، ممّا حدا بالسلطة المملوكية إلى تعيين أخويه معه في الحكم وإعطائهم نصف الدخل مقابل النصف الآخر للشريف عجلان، لكن الصراع بينهما لم ينته بهذا الحل بل اشتدَّ بينهما أكثر، ولم يستقر الحكم لعجلان حتى توفى أخوه ثقبة والذي كان من أشد المعارضين له، واستمرَّ عجلان يحكم مكّة حتى توفي عام **(777هـ/1375م)** وتولى بعده ابنه أحمد[5] حكم مكّة والذي كان أشركه في حكمها من قبل[6].

وإذا كان عجلان بن رميثة قد استطاع ضبط الأمور في أثناء فترة إستقلاله ومهَّد لإتساع الحركة التجارية في مكّة فإنَّ الفترة لم تنعم كلها بالهدوء والإستقرار والأمن، فقد كان يتخللها بعض

---

(1)السباعي، تأريخ مكه، مصدر سابق، ج1، ص312.

(2) سند بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي، ولى إمرة مكة شريكاً لابن عمه محمد بن عطيفة بعد عزل ثقبة وعجلان عام 760هـ/1359م، ثم شريكاً لثقبة بن رميثة، وانتهى حكمه عام 762هـ/1361م، برجوع عجلان لحكم مكة، توفي عام 763هـ/1362م، انظر الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج4، ص245-248.

(3) مغامس بن رميثة بن محمد بن حسن الحسني المكي، كان أحد المعارضين لحكم أخيه عجلان، وقد قبض عليه وأرسل إلى مصر عام 754هـ/1353هـ مع عدد من الأشراف منهم أخيه سند وثقبة، توفي سنة 761هـ/1360م قتيلاً في اشتباك بين الأتراك بمكة ضد قبيلة بني حسن، للمزيد انظر الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج6، ص106-207.

(4) ثقبة بن رميثة بن أبي نمي محمد الحسني المكي، ولى إمرة مكة شريكاً لأخيه عجلان، ومستقلاً في بعض السنين، وكانت الحرب بينه وبين عجلان مستعرة في أغلب الأحيان، ويعودون إلى الصلح حتى عزلا عن حكم مكة عام 760هـ/1359م، وعين بدلاً منهما أخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة، للمزيد انظر الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج3، ص256-259؛

(5) الشريف أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي محمد الحسني، أمير مكة ولى إمرتها شريكاً لأبيه ومستقلاً، وكانت بداية شراكته لأبيه منذ عام 762هـ/1361م، ثم انفرد بالإمارة عام 774هـ/1372م، ثم أشرك ابنه محمد سنة 780هـ/1378م، كان مشكور السيرة في الرعية، توفي عام 788هـ/1386م بمكة، للمزيد انظر الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ص55-62.

(6) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج3، ص326.

ISSN: 2709-5312

التوتر نتيجة للمطامع في الإمارة ومن ذلك ما حدث سنة **(763هـ/1362م)**، عندما تمكّن سند بن رميثة – شقيق عجلان – من الإستيلاء على جلبة وصلت وفيها مال عظيم لتاجر مكّي.[1]

وقد حكم الشريف أحمد مكّة حتى وفاته عام **(788هـ/1386م)**، ثمَّ خلفه ابنه الشريف محمّد[2]، ولكنّه لم يستقر في حكم مكّة حيث قُتل سنة **(788هـ/1386م)** بتدبير من السلطة المملوكية في مصر لمخالفته أوامرها في إطلاق سراح بعض المسجونين من الأشراف[3]، وهذا يدلُّ على تدخّل سلاطين المماليك في الأمور الداخلية بين الأشراف، وبمقتل الشريف محمّد بن أحمد بن عجلان عيّنت الدولة الشريف عنان[4] بن مغامس حاكماً لمكّة المكرّمة، وذلك في سنة **(788هـ/1386م)**، ولكن لم يستمر عنان في حكم مكّة وذلك لثورة الأشراف غضباً لمقتل الشريف محمّد ممّا حدا بالسلطة المملوكية في مصر إلى تغيير ولائها وتعيين علي[5] بن عجلان فثارت الحرب بين الأشراف بعضهم البعض وانقسم الناس إلى فريقين ممّا أدّى إلى سوء الأوضاع الداخلية في مكّة المكرّمة واضطراب الأمن، وتنازع الفريقان وأرادت السلطة المملوكية أن تستدرك الأوضاع فأمرت بتعيين عنان شريكاً لعلي بن عجلان وذلك لتهدئة الأوضاع في مكّة المكرّمة، ولكنَّ الصراع بين الأشراف لم ينتهي ولم تستقر الأوضاع ممّا جعل السلطة المملوكية في مصر تقبض على

---

(1) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج5، ص189–190.

(2) الشريف محمد بن أحمد بن عجلان الحسني المكي، أمير مكة ولى إمرتها ثمان سنين شريكاً لأبيه، أول ولايته لمكة عام 780هـ/1378م، ولم يكن لشراكته دور لمكانة والده وشخصيته النافذة، وبعد وفاة والده كان لعمه كبيش دور في سلطة محمد وتسييره للأمور، قتل عام 788هـ/1386م، عند استقباله لمحمل الحج المصري في مستهل شهر ذي الحجة، للمزيد انظر ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مصدر سابق، ج2، ص584.

(3) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مصدر سابق، ج1، ق2، ص381.

(4) هو عنان بن مغامس بن رميثة بن محمد الحسني، أمير مكة، ولى إمرة مكة مرتين، الأولى سنة إلا أربعة أشهر والثانية سنتان، اختلف مع أحمد بن عجلان فسافر إلى مصر وعاد بأمر أن يعطيه أحمد بن عجلان نصيباً من المال، وحاول الشريف أحمد قتل عنان وسجنه مع عدد من الأشراف واستطاع عنان الفرار والسفر إلى مصر في الوقت الذي تعرض زملاءه في السجن للأذى مما أغضب السلطان في مصر فقرر تعيين عنان حاكماً لمكة وقدم صحبة لحاج حيث حكم مكة فقتل الشريف محمد بن أحمد سنة 788هـ/1386م، توفي في مصر سنة 805هـ/1404م، للمزيد انظر السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج6، ص147–148.

(5) علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي، ولى إمرة مكة ثمان سنين وثلاثة أشهر مستقلاً بالإمارة ما عدا سنتين كان شريكاً لعنان بن مغامس وبداية ولايته في سنة 789هـ، وقُتل سنة 797هـ على يد =الأشراف وكان كريم الأخلاق كريم عاقلاً، للمزيد انظر ابن العماد، **شذرات الذهب**، مصدر سابق، ج6، ص350.

عنان سنة **(794هـ/1392م)** وبقيَّ مسجوناً حتى وفاته سنة **(805هـ/1403م)**.[1] أمّا الشريف علي بن عجلان فقد استمرَّ في حكم مكّة تأييداً من السلطة المملوكية في مصر حتى قُتل على يد الأشراف عام **(797هـ/1395م)**[2]، وبعد مقتله تمَّ تعيين أخاه الشريف حسن[3]، على حكم مكّة الذي كان متواجداً في ذلك الوقت في مصر، وتسلّم زمام الحكم بها واستطاع بحزمتهع وقوّته أن يُعيد الأمن لمكّة والمشاعر المقدسة والحدّ من خطر الخارجين والطامعين من الأشراف، وقد استمرَّ الشريف حسن يدير البلاد بأحسن الأحوال واستقرّت الأوضاع في عهده حتى وفاته عام **(829هـ/1426م)**، وقد تخلّل فترة حكمه حادثتان أجبرتاه على ترك مكّة المكرّمة، الأولى في عام **(818هـ/1415م)** حيث قامت السلطة المملوكية بتعيين الشريف رميثة[4] بن محمد بن عجلان ولم يلبث أن أخرجه الشريف حسن عام **(819هـ/1416م)** والثانية عام **(827هـ/1424م)** عندما عيّنت السلطة الشريف علي[5] بن عنان ولم يستمرّ حكمه لمكّة المكرّمة سوى عاماً واحداً حيث عادت السلطة واعترفت السلطة المملوكية بنفوذ الشريف حسن واستطاعته على إدارة البلاد وحسن قيادتها، وبعد وفاته تولّى ابنه الشريف بركات[6]، الذي استطاع أن يضع الأمور في نصابها، وأن

---

(1) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج5، ص416؛ ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج3، ص433.

(2) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج5، ص281؛ ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج3، ص394.

(3) هو الشريف حسن بن عجلان بن رميثة الحسني المكي، ولد سنة 775هـ/1374م ونشأ في كفالة أخيه أحمد مع أخيه علي بن عجلان، لُقب ببدر الدين، سافر إلى مصر عام 797هـ/1395م ليحاول إقناع السلطان بتعيينه حاكماً على مكة بدلاً من أخيه علي فقبض عليه وتم سجنه بمصر، وعندما قتل الشريف علي قام السلطان بتعيينه حاكماً لمكة في نفس العام 797هـ/1395م ووصل مكة واستمر يحكمها ما عدا فترتين عينت الدولة فيها الشريف رميثة والشريف علي بن عنان، توفي في مصر سنة 829هـ/1426م، للمزيد انظر السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج3، ص103.

(4) رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي، تولى إمرة مكة مدة قليل فلم تحمد سيرته فتم عزله، واتفق خروجه في طائفة مع العسكر للوقيعة ببعض القبائل وقتل في المعركة في رجب سنة 837هـ/1434م، للمزيد انظر السخاوي، **المصدر نفسه**، ج3، ص230.

(5) هو علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني المكي، ولى إمرة مكة في سنة 827هـ/1425م، وذلك لعدم ملاقاة الشريف حسن أمراء الحج فوصل إلى مكة بصحبة حملة عسكرية من مصر وفي عام 828هـ/1429م تم عزله وتعيين الشريف حسن واعتقل الشريف بن علي في مصر إلى أن مات سنة 833هـ/1430م، للمزيد انظر، ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج2، ص483.

(6) هو الشريف بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، ولد سنة 801هـ/1399م، ونشأ بمكة، وتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن، أجاز له عدد من العلماء، تولى إمرة مكة بعد وفاة والده سنة 829هـ/1426م، وحسن سيرته وعم الناس في أيامه الأمن والرخاء، عزله السلطان الظاهر جقمق سنة 845هـ/1442م، ثم عاد الشريف بركات

حكم مكّة بشئ من الطمأنينة والعدل[1]، وقد أستمرَّ الشريف بركات في حكم مكّة حتى عام **(845هـ/1442م)**، حيث نافسه أخوه الشريف علي[2] بن حسن وذلك لإستطاعته إقناع السلطة المملوكية في مصر بتعيينه بدلاً من أخيه واستمر الشريف بن علي في حكم مكّة حتى عام **(846هـ/1443م)** فقد تمَّ عزله وتعيين أخوه أبو القاسم[3] بدلاً عنه والذي استمر في حكم مكّة المكرّمة إلى عام **(850هـ/1446م)** حيث تمَّ عزله وتعيين الشريف بركات بدلاً عنه وقد استمرَّ في حكم مكّة حتى وفاته سنة **(859هـ/1455م)**[4]، وتمَّ تعيين ابنه الشريف محمد[5] بن بركات من بعده بموافقة السلطة المملوكية في مصر. وقد استقرّت الأمور للشريف محمد بن بركات في حكم مكّة حتى وفاته سنة **(903هـ/1498م)**[6]، وكان ينوب عنه في حكم مكّة المكرّمة ابنه الشريف بركات[7]، وقد تولّى الحكم بعد أبيه بتأييد من السلطة المملوكية في مصر، ولكن لم تستقر

عام 850هـ/1446م، وكان شهماً كريما شجاعاً، له مآثر بمكة توفي سنة 859هـ/1455م، للمزيد انظر ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مصدر سابق، ج1، ص188-189.

(1) السباعي، **تأريخ مكة**، مصدر سابق، ج1، ص345.

(2) هو الشريف علي بن بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني المكي، ولد سنة 807هـ/1405م بمكة سمع على عدد من العلماء، عينه الظاهر جقمق عام 845هـ/1442م بد من أخيه الشريف بركات وفي شوال عام 846هـ/1443م عزل عن حكم مكة وتم نقله إلى مصر وبقى بها إلى أن مات سنة 853هـ/1449م بدمياط، للمزيد انظر ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج2، ص487.

(3) هو أبو القاسم بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني المكي، ولد بمكة ونشأ بها، ولى إمرة مكة في سنة 846هـ/1443م وعزل عنها سنة 850هـ/1446م بسبب فرض المكوس على الحجاج، توفي بمصر سنة 853هـ/1449م بمرض الطاعون، للمزيد انظر ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج2، ص498.

(4) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج4، ص347.

(5) هو الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، ولد سنة 840هـ بمكة ونشأ بها ودرس على يد عدد من العلماء الأجلاء، ولى إمرة مكة منفرداً بعد وفاة والده سنة 859هـ/1445م، وقد ساد الأمن في عهده في مكة المكرمة حتى توفي عام 903هـ/1498م، للمزيد انظر ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج2، ص506.

(6) ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج2، ص596.

(7) هو بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، ولد سنة 861هـ/1457م، مارس الحكم نائباً لوالده في سنة 878هـ/1474م بأمر السلطان الأشرف قايتباي، واستمر في مساعدة والده الذي توفى والده سنة 903هـ/1498م، فتولى أمر مكة ونافسه أخوته على حكم مكة ودارت بينهم حروب عديدة وقد أخرج من مكة عدة مرات حتى دخلها في أواخر سنة 909هـ/1504م، واستمر إلى وفاته سنة 931هـ/1525م، للمزيد انظر، ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج3، ص5.

ISSN: 2709-5312

لـه الأمـور حيـث نازعـه أخوتـه علـى الحكـم وكـان أولهـم نزاعـاً لـه الشـريف هـزاع[1]، منـذ سـنة **(904هـ/1499م)** ودار النزاع والحرب بين الأخوين، واستطاع الشريف هزاع أن ينتزع مكّة عام **(906هـ/1501م)** بمساعدة الحملة المملوكية المرافقة للحجاج[2]، واضطربت الناس وكثر الخوف والنهب في الطرقات وانقطعت السبل ورجع حجاج البحر إلى جدّة ثمَّ سعى الشريف إبراهيم عم الشريفين بينهما بالهدنة لتمكين الفتنة وتأمين الناس والحجاج على أن يدفع هزاع لبركات مبلغاً وقدره ثلاثة آلاف اشرفي قبل يوم النحر...فكان له ما طلبه...غير أن الشريف هزاع عرف أنَّه لا طاقة لمقاومة أخيه بركات فتوجّه إلى ينبع مع الركب المصري ورجع بركات إلى مكّة فأمّن الناس وذهب عنهم اليأس والخوف[3]، ولكنَّه أُجبر على تركها بداية عام **(907هـ/1502م)** ثمَّ عاد ودخلها في جمادي الأول من نفس العام، وأجبر الشريف بركات على الخروج منها ولكنّه توفي في رجب من نفس العام[4]، وبوفاته خرج الأخ الثاني للشريف بركات ويُدعى أحمد الجازاني[5]، حيث نادى به الناس أميراً على مكّة المكرّمة فزحف عليه الشريف بركات من جهة اليمن وأجبره على الخروج من مكّة في شهر شعبان من عام **(907هـ/1502م)**. عندما رأت السلطة إصرار الشريف بركات، أرسلت بتعيينه حاكماً على مكّة، واستمرَّ الشريف أحمد في منازعة أخيه على الحكم ودارت

---

(1) هو الشريف هزاع بن محمد بن بركات الحسني المكي، نافس أخاه الشريف بركات على حكم مكة منذ عام 904هـ/1499م، ودارت الحرب بين الأخوين وقد عينته الدولة أميراً على مكة عام 906هـ/1501م بدلاً من أخيه الشريف بركات بدعم من قائد الحملة المصرية التي كانت مع الحجاج، لم يستمر في حكم مكة حيث أصابه المرض وتوفي في شهر رجب سنة 608هـ/1502م، للمزيد انظر الطبري، جمال الأخير محمد بن علي بن فضل الطبري المكي (ت1173هـ)، **تاريخ مكة: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، تحقيق محسن محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط2، 1413هـ، ج1، ص294.

(2) ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج3، ص6.

(3) ابن القاسم، يحيي بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت 1100هـ)، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، ق2، 627-628.

(4) ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج3، ص6.

(5) هو أحمد بن محمد بن بركات بن حسن الحسني المكي، يلقب بالجازاني تنافس مع آخاه بركات في حكم مكة وذلك بعد وفاة أخيه هزاع نادى بنفسه حاكماً على مكة المكرمة بتأييد من أهلها، وقد هاجمه أخوه بركات ودارت الحرب بين الأخوين فترات متعددة تضرر منها أهل مكة، قُتل وهو يطوف بالبيت في 19 رجب عام 909هـ/ 1504م، انظر السنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين، **منائح الكرام في أخبار مكة والبيت وولاة الحرام**، تحقيق جميل عبدالله محمد المصري، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، ص1998م، ج3، ص111.

الحروب بينهما وعانت مكّة وأهلها والحجاج ويلات الحرب وانعدام الأمن الشيء الكثير[1]، وتُعد فتنة الجازاني من أعظم فتن مكّة المكرّمة التي نشبت بسبب النزاع حول الإمارة والطمع في السلطة فيها يقول ابن إياس:"وقد كادت مكّة أن تخرّب في هذه الوقعة عن آخرها وتقرب واقعة الجازاني من واقعة أبي ظاهر القرمطي وما فعله بمكّة من النهب وقتل الناس[2]، وقد حاولت السلطة إيقاف الصراع بالقبض على الشريف بركات وسجنه في مصر سنة **(908هـ/1503م)**[3]، ولكن الشريف أحمد قُتل في عام **(909هـ/1504م)**[4]، بمكّة فظهر الشريف حميضة[5]، الأخ الثالث للشريف بركات ونادى بنفسه أميراً على مكّة، وفي هذه الأثناء هرب الشريف بركات من مصر وقدم إلى مكّة بصحبة جيش كبير جمعهُ من بني لام ومن أهل المشرق، ومنع الناس من الوقوف بعرفة حتى صالحه أمراء الحج على أربعة آلاف اشرفي يسلمونها إليه[6]، وأخبر أخيه حميضة وأجبر أخاه على ترك مكّة، وترك أمر مكّة له، وأختار الشريف بركات لحكم مكّة أخاه الشريف قايتباي[7]، وأشرك معه ابنه الشريف علي[8]، بينما احتفظ الشريف بركات بالقيادة العليا للبلاد حيث كان اسمه يُذكر في خطبة الجمعة[9]، ولم يلبث أن توفي الشريف علي بن بركات عام **(913هـ/1508م)**[10]، ولم يعيّن بدلاً منه شريكاً للشريف قايتباي، وفي عام **(918هـ/1512م)**

---

(1) الطبري، **إتحاف فضلاء الزمن**، مصدر سابق، ج1، ص310.

(2) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مصدر سابق، ج3، ص56-57.

(3) الطبري، **إتحاف فضلاء الزمن**، مصدر سابق، ج1، ص310.

(4) الطبري، **المصدر نفسه**، ج1، ص322.

(5) هو الشريف بن حميضة بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، ولى إمرة مكة بعد مقتل أخيه أحمد الجازاني بأمر قائد الترك بمكة، ولكن لم يتم له الأمر وذلك لخروج الشريف بركات من مصر ومهاجمته مكة وانتزاعها من الشريف حميضة، انظر **المصدر نفسه**، ج1، ص322.

(6) ابن القاسم، **غاية الأماني**، مصدر سابق، ق2، ص265.

(7) هو الشريف قايتباي بن محمد بن بركات الحسني المكي، ولى إمرة مكة بالشراكة منذ عام 910هـ/ 1505م، بعد أن خرج الشريف بركات أخاه الشريف حميضة، وقد كان حسن النية لأخيه الشريف بركات، توفي في عام 918هـ/1512م، للمزيد انظر ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج3، ص173-247.

(8) هو الشريف علي بن بركات بن محمد بن كات الحسني المكي، أشرك في حكم مكة عام 910هـ/1505م الشريف قايتباي، توفي الشريف علي في عام 913هـ/1508م ودفن بمكة، للمزيد انظر ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج3، ص207.

(9) ابن فهد، **بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى**، دار القاهرة، القاهرة، 2005م، ج1، ص61.

(10) ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج1، ص333.

ISSN: 2709-5312

توفي الشريف قايتباي[1]، وبوفاته تولّى الشريف بركات الحكم في مكّة المكرّمة بنفسه وبتأييد من السلطة المملوكية في مصر[2]، واستمرّ في حكم مكّة إلى أن سقطت الدولة المملوكية في مصر وهو حاكماً بمكّة عام **(923هـ/1517م)**.[3]

ممّا سبق يتضح لنا أنَّ لسلاطين المماليك دوراً هامّاً في الصراعات السياسية بين أشراف مكّة، وفي تفضيلهم أخ عن غيره من أفراد البيت الحاكم وفي مساندته على تولّي حكم مكّة المكرّمة، ولكنهم حرصوا دائماً على استتاب أمن مكّة وأمن الحجاج، فعندما يحدث الصراع بين أفراد البيت الحاكم يضطرب الأمن في البلاد فتضعف حماية الحجاج وتُصبح الطرق غير آمنة لغياب السل

ثانياً: الدور الحضاري لسلاطين المماليك في الدولة المملوكية:

أولى سلاطين المماليك بمكّة المكرّمة جُل عنايتهم ورعايتهم إ بسبب وجود الحرم المكي الشريف، وارتباط هذا الوجود بالشعائر المقدّسة والمتمثّلة في "الحج والعمرة" بشكل رئيسي، وباعتبار أنَّ كلّ ما يهيّمن على الأماكن المقدّسة في مكّة الم قتصادياً وثقافياً كرّمة، ويوليها الرعاية الواجبة فهو أحقّ الناس بالإتّباع، ولا شكّ أن الرعاية والعناية صاحبهما الرغبة في البذل والعطاء الذي كان ناتجاً عن الشعور الديني الذي انعكس على الرواج الإقتصادي والإزدهار الثقافي، الذي كان لكل منهما أثره الكبير في إزدهار الحياة بجميع نواحيها.[4]

وقد تنافس سلاطين المماليك على الإهتمام بمكّة المكرّمة، وبناءً كان لسلاطين المماليك دوراً إقتصادياً وثقافياً هامّاً سنوضحه فيما يلي:

المبحث الأول: أوجه العمل الخيري لسلاطين المماليك في مكّة المكرّمة وإنشاء المدارس:

اهتمَّ السلاطين في تشييد المدارس بمكّة المكرّمة لتسهم في تربية المقيمين بها وتعليمهم وتثقفيهم، وإذا كانت المدارس الإسلامية قد بدأت في الظهور منذ منتصف القرن الخامس

---

(1) **المصدر نفسه**، ج2، ص545.

(2) ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج3، ص248.

(3) ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج3، ص12.

(4) المنديل، شريفة بنت صالح، **ملامح التطور العمراني للمنشآت المدنية في مكة خلال عصر المماليك الجراكسة (784-923هـ/ 1382-1517م)**، مجلة رسالة المشرف، جامعة القاهرة- مركز الدراسات الشرقية، مج28، ع1، 4، 2013م، ص246.

ISSN: 2709-5312

الهجري/الحادي عشر الميلادي، فإن ظهورها بمكّة لم يبدأ إلاّ في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[1]، وكانت المدارس بمكّة منذ إنشائها قد اعتنت واهتمت بتدريس العلوم الدينية كالحديث، والتفسير، والفقه، وعلوم التصوف، والعلوم العربية.[2]

ومنذ أن بدأ الاهتمام بإنشاء المدارس في مكّة كانت تلك موزّعة بين المذاهب الأربعة الرئيسية، وسارت هذه المدارس جنباً إلى جنب مع المسجد الحرام في نشر العلم وأخذت على عاتقها مهمّة التدريس ونشر العلم والمعرفة بين المسلمين، وتسابق سلاطين المماليك إلى تأسيسها حتى كثر عددها، والسبب في ذلك مكانة مكّة المكرّمة والمسجد الحرام في قلوب المسلمين وهجرة أكثر العلماء المهتمّين بالعلوم الدينية إلى مكّة، ولذلك فإن هذه الحقبة الزمنية أدّت إلى رواج هذه المدارس وتولّى السلاطين أمر هذه المدارس وأوقف عليها أوقاف مختلفة، وكثرة هذه المدارس يوضح مدى النهضة التعليمية التي شهدتها مكّة المكرّمة في عصر الدولة المملوكية.[3]

ويعتبر عصر المماليك العصر الذهبي لإنشاء المدارس في مكّة، وكان الغرض من إنشاء هذه المدارس هو تحقيق أهداف مذهبية وسياسية وساهم سلاطين المماليك في تأسيس هذه المدارس، ومن المدارس التي تمّ تأسيسها تحت إشراف السلاطين ما يلي:

مدرسة السلطان قايتباي:

كان السلطان قايتباي من أشهر سلاطين المماليك الذين كانت لهم أعمال برّ وإحسان شملت جوانب عديدة من مدارس وأربطة، ومن أشهرها مدرسته التي أنشأها بمكّة المكرّمة وذلك أنه عام **(882هـ/1478م)** عندما قرّر بناء مدرسته أمر وكيله التاجر شمس الدين[4]، محمد الشهير

(1) عبد الله، عبد الرحمن صالح، **تاريخ التعليم في مكة المكرمة**، دار الفكر، بيروت، 1973م، ص59.

(2) الهمزاني، بندر بن محمد بن رشيد، **أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية في مكة في القرنين السابع والثامن**، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، ع20، 2001م، ص471.

(3) الهمزاني، **المرجع نفسه**، 472.

(4) ابن الزمن هو: محمد بن عمر بن محمد الخواجا شمس الدين بن السراج القرشي الدمشقي يُعرف بابن الزمن، ولد سنة 824هـ/1421م بدمشق اشتغل بالتجارة اختص بالأشرف قايتباي وهو أمير فلما تسلطن عينه لمشارفة عمائر مكة، له مأثر كالرباط والد شيشه بمكة، توفي 897هـ/1492م، انظر السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج8، ص260.

ISSN: 2709-5312

بابن الزمن، وشاد[1] العمائر السلطانية الأمير سنقر[2] الجمالي، بأن يختارا له موضعاً قريباً من المسجد الحرام ليبني فيه مدرسة، يُدرّس فيها العلوم الشرعية على المذاهب الأربعة، ويقيما بجانب المدرسة[3]، رباطاً لسكن الفقراء وأرسل إلى الشريف في مكّة وباش الترك وقاضي مكّة يوصيهم مندوبيه فيما يقومان به.[4]

ولضمان إستمرار هذه المدرسة التي تؤدّي رسالتها في حياته وبعد مماته طلب من وكيليه أن يعملا له مباني تؤجّر فيحصل منها دخل مالي يُصرف لاحتياجات المدرسة، وقام وكيلاه بتنفيذ ما أمُرا به حيث وقع اختيارهما على رباطين ودار مجاورة[5]، لهما فأُزيلت وبنيت المدرسة مكانها بين باب السلام وباب النبي[6]، من الناحية الشرقية للمسجد الحرام، وبنيا اثنين وسبعين خلوة ومجمعاً كبيراً مشرفاً على المسجد الحرام وعلى المسعى واهتماماً بتزيين المدرسة بالرخام الملون والسقف المذهّب، وفي عام **(884هـ/1480م)** كملت عمارة المدرسة ثمَّ تقرّر أمر المدرسة، بحيث قرّر فيها أربعة مدرّسين على المذاهب الأربعة وأربعين طالباً، وقرّر أن يعقد بالمدرسة قراءة ربعة كلّ يوم بعد العصر يقرأها القرّاء ويحضرها الفقهاء والمتصوّفون ويأخذون مقابل ذلك من دخل المدرسة، ولكي تؤدّي المدرسة دورها العلمي كاملاً[7]، وكان ممّن درس بها: قاضي الشافعية

---

(1) شاد العمائر لقب يُطلق في عصر المماليك على موظف يقوم بعدة أعمال منها التعمير والاستثمار وهي إحدى الوظائف التي كان يشغلها عسكريون، ويكون هذا الموظف مشرفاً على العمائر التي يأمر بها السلطان، انظر الباشا، حسن، **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ج2، ص604-616.

(2) سنقر الجمالي: هو يوسف بن كاتب حكم الزيني أبو السعادات، ولى الإشراف على عمائر مكة، انظر السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج3، ص273.

(3) العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت 1111هـ)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1998م، ج4، ص44.

(4) الشريف في ذلك الوقت السيد محمد بن بركات وباش الترك يُدعى قاني باي والقاضي الشافعي بركات الدين بن ظهيرة، انظر ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج4، ص619.

(5)رباط السدرة، ورباط المراغي، ودار الشريفة الشمسية، ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج4، ص619.

(6)الحارثي، عدنان محمد فايز، عمارة المدرسة في مصر والحجاز (في القرن 9هـ/15م): دراسة مقارنة، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، 1997م، ج1، ص263.

(7) العصامي، **سمط النجوم**، مصدر سابق، ج4، ص44.

ISSN: 2709-5312

البرهان بن ظهيرة حيث كان شيخاً لها ومدرّساً لمذهبه[1]، وأيضاً القاضي الحنفي شرف الدين ابن أبي البقاء حيث تولّى تدريس مذهبه[2]، وكذلك القاضي الحنبلي محي الدين عبد القادر.[3]

كما أرسل السلطان خزانة كتب وجعلها وقفاً للطلبة وجعل مقرّها في المدرسة، وجعل لها خازناً وسمح فيها بالإعارة وذلك ممّا أفقدها عدداً من الكتب.[4] وأضاف للمدرسة تعليم أربعين صبياً من الأيتام على يد معلم خاصّ بهم، يعلمهم دينهم وشؤونهم، ورتّب لكلّ واحداً من الأيتام والفقراء سكان الخلاوي ما يكفيهم من القمح كل سنة ورتب للمدرسين وقراء الربعة وأهل الخدمة بالمدرسة مبالغ من الذهب تصرف لهم كلّ سنة، وبنى عدة ربوع يبلغ دخلها السنوي نحو ألفي دينار[5]، تصرف على احتياجات المدرسة، ولضمان المحافظة على أن تؤدّي المدرسة رسالتها، وقف عليها بمصر قرى وضيعاً كثيرة يحمل إنتاجها من الحبوب إلى مكّة المكرّمة وتصرف لمدرسته، وجعل للمدرسة باباً نافذاً من المسجد الحرام إلى شارع المسعى[6]، كما كان هناك أبواب صغيرة في الجدار الغربي للمسجد النبوي بين باب السلام وباب الرحمة للدخول منها إلى المدرسة والرباط اللذين أنشأهما السلطان.[7]

وقد وقف السلطان المدرسة والأربطة وكتب بذلك كتاباً وأشهد على نفسه[8]، وقد ظلت هذه المدرسة قائمة حتى زارها الرحالة النابلسي سنة **(1105هـ/1694م)** وقال عنها:"مدرسة السلطان قايتباي التي عمّرها على شكل القاعة بأربعة لواوين (يُقصد أواوين)، كلّها بالحجارة المنحوتة الملونة

---

(1) السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج1، ص72-81.

(2) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج4، ص656.

(3) السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج4، ص240-242.

(4) تولى الشيخ قطب الدين النهروالى أمر المكتبة المذكورة خلال القرن العاشر وحاول صيانة المكتبة واسترجاع ما فقدته من كتب حيث لم يبق سوى 300 مجلد، فحافظ على ما تبقى منها وأعاد ما أستطاع من كتبها إلى المقر، انظر النهروالي، محمد بن أحمد بن محمد (ت990هـ)، **كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجارية- مكة المكرمة، 1996م، ص243.

(5) النهرواني، **المصدر نفسه**، ص243.

(6) باسلامة، حسين عبد الله، **تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر**، مكتبة الثقافة الدينية، 2001م، 9.

(7) الشهري، محمد هزاع، **عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي (648-923هـ)**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1982م، ص348.

(8) النهرواني، **الإعلام**، مصدر سابق، ص252.

ISSN: 2709-5312

والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر، وفي وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش، مرتفعة يصعد إليها بدرج ودهليز مبلط، وشبابيكها مطلّة من داخل الحرم النبوي من جهة الغرب قبالة الحجرة النبوية، وفيه الخلوات للمجاورين ولها شباك مطلّ على باب السلام".[1]

وبعد وفاة السلطان قايتباي ضعفت موارد المدرسة وذلك يعود لعدم إخلاص نظار الأوقاف حتى صارت سكناً لأمراء الحج أيام المواسم وغيرها من رجال الدولة إذ قدموا إلى مكّة[2]، وتلاشت أوقافها ممّا أدّى إلى عدم قيامها بالتعليم.[3]

مدرسة الأمير أرغون الناصري[4]:

أقام الأمير أرغون بن عبد الله الناصري نائب السلطنة[5] في مصر بدار العجلة مدرسة خاصة بالحنفية وعيّن لها مدرساً حنفياً هو يوسف بن الحسن الحنفي المكي[6]، ولكي تستمر المدرسة في أداء رسالتها أوقف عليها وقفاً، وكان إنشاء هذه المدرسة في أوائل العقد الثالث من القرن الثامن الهجري **(730هـ/1330م)**،[7] والظاهر أنّها لم تكن مدرسة بل درساً للحنفية حيث اقتصرت على معلم واحد.

---

(1) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت1143هـ)، **الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز**، تقديم وإعداد: أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، ص335.

(2) النهرواني، **المصدر نفسه**، ص243.

(3) كان القاضي في ذلك الوقت جمال الدين أبو السعود بن ظهيرة، انظر ابن فهد، غاية المرام، ج2، ص568.

(4) الأمير أرغون بن عبد الله الناصري، الأمير سيف الدين المعروف بالنائب لأنه كان نائب السلطنة بمصر عن ابن مولاه الناصر محمد بن قلاوون، تردد إلى مكة للحج مرات، كان محباً لأهل العلم محسناً إليهم، انشأ بمكة مدرسة للحنفية بدار العجلة توفي سنة 731هـ/1331م، انظر الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج8، ص228.

=(5) النائب هو الكافل الذي يحكم في ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وله السلطة في استخدام الخير من غير مشورة السلطان، ويتولى تعيين أرباب الوظائف وكتابة السر، انظر القلقشندي، **صبح الأعشى**، مصدر سابق، ج4، ص190.

(6) يوسف بن الحسن بن علي بن يوسف السجزي المكي الحنفي يُلقب بالجمال بن بدر، حدث ودرس، وأفتى وله تأليف في العروض وشعر تولى تدريس مدرسة الأمير أرغون النائب للحنفية في دار العجلة بمكة بولاية من الواقف ناب عن عمه الشهاب الحنفي بمقام الحنفية، توفي في صفر سنة 761هـ/ 1360م بمكة، انظر ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مصدر سابق، ج2، ص800.

(7) الفاسي، **شفاء الغرام**، مصدر سابق، ج1، ص603.

ISSN: 2709-5312

مدرسة العطيفية:

بُنيت هذه المدرسة بأمر زوجة السلطان الملك الأشرف[1] أينال وتُدعى زينب[2] بنت العلاء علي بن أحمد بن خاصبك وذلك في عام **(861هـ/1457م)**[3]، والأرجح أن هذه المدرسة أُقيمت بالقرب من رباط العطيفية الواقع في الجانب الشمالي من المسجد الحرام[4]، وأخذت نفس الاسم، وكانت تحتوي على قاعة كبيرة تطل بشبابيك على المسجد الحرام وعدّة مرافق، ورواق كبير وحاصل[5] تحت القاعة[6]، ولم تذكر المصادر أي شيء عن التدريس بهذه المدرسة وأوقافها شيء.

ممّا سبق يتضح لنا مدى اهتمام سلاطين المماليك بالعلم وأهله من علماء وطلبة، فحرصوا على إقامة المدارس والسماح للموسورين والمتبرعين من جميع أقطار العالم الإسلامي حكّام ومحكومين بإقامة المدارس، ولم يتدخلوا في طبيعة التدريس بها، كما أنّهم خصّصوا الأوقاف للإنفاق على هذه المدارس، ولم يتعرّضوا للمدارس التي كانت مقامة قبل ظهور دولتهم، وقد تعدّدت صوّر التعليم في العهد المملوكي، فكانت الأربطة وحلقات العلم بالمسجد الحرام عبارة عن مدارس بجانب المدارس الأساسية، وقد أخذت هذه المدارس الصبغة الدينية حيث كان جلّ تدريسها منصَبّ على العلوم الشرعية والعربية والتاريخية، ومن المدارس التي أُنشئت في العصر المملوكي:

---

(1) أينال العلائي الظاهري ثم الناصري الأشرف سيف الدين أبو النصر اشتراه الظاهر برقوق وتدر في مناصب الدولة، ولاه الأشرف نيابة غزة، استخدمه الظاهر وقدمه ثم عمله ذو إدارة سنة 846هـ/1443م غزا الفرنج، غير مرة، استقر في ملك مصر بعد المنصور عثمان سنة 857هـ/1453م، توفي عام 865هـ/1461م، وقد قارب الثمانين بمصر، انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص328؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج16، ص57.

(2) هي زينب ابنة العلاء علي تُعرف بابنة خاص بك تزوجها إينال بعد أخت لها ماتت ولم ينفك عنها ولا بعد تملكه حتى مات ولم يتزوج عليها وكل أولاده منها، كان لها مزيد من النفوذ ووفرة الحرمة وطواعية السلطان جداً لأوامرها، حتى كان لا اختيار له معها، حجت في أيام عزها فكان أمراً زائداً عن الحد، انظر السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق،ج12، ص44.

(3) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج4، ص372.

(4) ابن فهد، **غاية المرام**، مصدر سابق، ج2، ص122.

(5) الحاصل: جمع حواصل، وهو مخزن ومن حاصل عين الماء وهو بيت يجتمع فيه ماؤها الجاري، انظر معلوف، لويس، **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، 1956م، ص138.

(6) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج4، ص372.

ISSN: 2709-5312

- **المدرسة المجاهدية:** أنشأها الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول مدرسة بمكّة، بالقرب من المسجد الحرام بالجانب الجنوبي عام **(739هـ/1339م)** وجعلها خاصّة على مذهب الشافعية[1]، وقد أوقف عليها وقفاً جيداً ببلاد اليمن في وادي زبيد[2]، في مواضع متنوعة من الوادي بحيث لو انقطع مورد لم ينقطع الآخر[3]، وقد درس بها عدد من العلماء منهم: قاضي مكّة: جمال الدين محمد بن ظهيرة، فقد درس فيها 17 سنة، ثمَّ درس فيها ابنه محب الدين أحمد ما يقارب 10 سنوات[4]، وقد استمرّت المدرسة تؤدّي رسالتها خلال العصر المملوكي.
- **المدرسة الأفضلية:** أنشأها ملوك اليمن بمكّة: المدرسة الأفضلية، وقد أوقفها الملك الأفضل[5] عباس ابن الملك المجاهد صاحب اليمن عام **(768هـ/1367م)**، وتقع بالجهة الشرقية من المسجد الحرام، وقد خصّصت لفقهاء الشافعية[6]، وقد رتّب الملك الأفضل
- بمدرسته مدرّساً ومعيداً[7]، وعشرة طلاب وإماماً ومؤذّناً، وجعل في المدرسة قسماً لتعليم الأيتام القرآن الكريم[8].
- **مدرسة الشريف حسن بن عجلان:** أنشأها الشريف حسن بن عجلان **(789-829هـ/1395-1425م)**، تأسيسه وعمارته لمدرسة عُرفت باسمه، وتقع بجوار رباطه الذي بناه عام **(803هـ/1400م)**[1].

---

(1) الفاسي، **شفاء الغرام**، مصدر سابق، ج1، ص604.

(2) زبيد: اسم واد به، مدينة يقال لها الخصيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تُعرف إلا به وهي مدينة مشهورة باليمن أُحدثت في أيام المأمون، انظر الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج4، ص469.

(3) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، مصدر سابق، ج2، ص64.

(4) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج2، ص202.

(5) العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن الملك الأفضل بن الملك المجاهد تولى السلطة نحو 14 سنة، له مدرسة بمكة وأخرى بتعز، وكان له إلمام بالعلم، وتواليف حسنة مات سنة 778هـ/1377م، انظر ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، مصدر سابق، ج6، ص257.

(6) الفاسي، **شفاء الغرام**، مصدر سابق، ج1، ص603.

(7) المعيد: هو من يقوم بتفهيم بعض الطلبة وبهذا يكون عليه قدر زائد في سماع الدروس، وبهذا يكون أكثر الطلبة فهماً وعلماً، انظر السبكي، **مبيد النقم**، مصدر سابق، ص108.

(8) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، مصدر سابق، ج2، ص136.

ISSN: 2709-5312

- **مدرسة الملك الأشرف**[2]: أسّسها الملك الأشرف وكان المتولي لأمر عمارة هذه المدرسة العالم النحوي الكبير إمام أهل اللغة محمد[3] بن يعقوب الفيروزآبادي عام **(803هـ/1400م)**، فقد قدِمَ إلى مكّة من بلاد اليمن عام **(802هـ/1399م)**، وأقام مدرسة في داره التي أنشأها عند الصفا، وجعلها للملك الأشرف صاحب اليمن، والذي تربطه معه علاقة قوية، وقرّر بها مدرّسين وطلبة[4].
- **المدرسة البنجالية:** من ملوك العالم الإسلامي الذين أقاموا وعمروا مدارس بمكّة السلطان غياث الدين[5]، صاحب بنجالة[6] من بلاد الهند عام **(813هـ/1410م)**، وتُعرف أيضاً بالمدرسة الغياثية، نسبة لمؤسسها، وتقع بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام عند باب أم هانئ[7]، وتمَّ الإنتهاء من بنائها عام **(814هـ/1411م)**، وخُصّصت لتدريس الفقه على

---

(1) الملك الأشرف: إسماعيل بن العباس بن علي بن رسول ممهد الدين أبو العباس ملك اليمن ولد سنة 761هـ/1360م، حكم بعد أبيه 778هـ/1377م، كان جواداً لا نظير له في ذلك اشتغل بفنون من النحو والفقه والأدب والتاريخ وغيرها مات سنة 803هـ/1401م، انظر السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق،ج2، ص299.

(2) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج4، ص96.

(3) محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر، القاضي مجد الدين أبو الظاهر الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي اللغوي، نزيل مكة، ولد بشيراز عام 729هـ/1328م، كانت له بالحديث عناية غير قوية، وكذلك بالفقه، برع في اللغة، ألف وصنف كتباً عديدة، وكان سريع الحفظ، ذا خط جيد، ولى القضاء ببلاد اليمن، وقد أكرمه الملك الأشرف، ونال منه بر ورفعة، وتزوج الأشرف ابنته، توفي عام 817هـ/1414م، انظر الفاسي، **المصدر نفسه**، ج2 ص392-401.

(4) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج2، ص399.

(5) أعظم شاه بن اسكندر شاه، السلطان غياث الدين أبو المظفر، صاحب بنجالة من بلاد الهند، كان ملكاً جليلاً، له حظ من العلم والخير، بعث إلى الحرمين بصدقات طائلة مرات عديدة، وغرقت فيهما وعم بذلك النفع، توفي عام 815هـ/1412م، انظر السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج2، ص313.

(6) بنجالة: بلاد واسعة من بلاد الهند، كثيرة الأرزاق، رخيصة الأسعار، إلا أنها مظلمة، وكان أهل خرساني يسمونها "دوز خست بور نعمة"، ومعناه جهنم ملأى بالنعم، من أهم مدنها الساحلية، مدينة سداكاون، انظر ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (779هـ)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، د.ت، ج2، ص697.

(7) باب أم هانئ: نسبة إلى أم هانئ بنت أبي طالب وأخت أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وهذا الباب يلي دور بني عبد شمس وبني مخزوم، ويقال له باب ابنه أبي طالب، وهو الباب السابع من أبواب المسجد، فيه أسطوانة عليها طاقان طول ثلاثة عشر ذراع واثنتا عشر إصبع، انظر الأزرقي، **أخبار مكة**، مصدر سابق،ج2، ص91.

المذاهب الأربعة، وبها أربعة مدرسين، وستون طالباً: عشرون على المذهب الحنفي، وعشرون على المذهب المالكي، وعشرون على المذهب الحنبلي[1]

- **المدرسة الكلبرجية:** أنشأها السلطان شهاب الدين[2] سلطان كلبرجة من بلاد الهند، قام بعمارتها عام **(830هـ/1426م)**، وتقع جنوب المسجد الحرام عند باب الصفا، وقد قرّر فيها أربعين طالباً، من أيّ مذهب، ويُدرّس فيها أيّ فن من فقه وحديث ونحو وغيره[3].
- **المدرسة الباسطية:** أسّسها وقام بعمارتها عبد الباسط[4] بن خليل الزيني عام **(834هـ/1430م)**، تقع شمال المسجد الحرام قرب باب العجلة[5]، وكملت عمارتها عام **(836هـ/1432م)**[6].
- **المدرسة الزمامية:** أسّسها الطواشي خشقدم[7] بن عبد الله الزمامي عام **(835هـ/1431م)**، وتقع شمال المسجد الحرام.[8]
- **المدرسة الجمالية:** أسّسها الناظر الخاص يوسف[1] بن عبد الكريم بن بركة عام**(855هـ/1451م)**.[2]

---

(1) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج1، ص117.

(2) السلطان شهاب الدين أبي المغازي أحمد بن أحمد شاه بن حسن، سلطان كلبرجة من بلاد الهند، دام في الحكم أربع عشرة سنة، وكان من أعظم ملوك الهند ديناً وخيراً وعزماً، توفي عام 838هـ/1434م، انظر المقريزي، **السلوك**، مصدر سابق، ج7، ص318.

(3) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج3، ص643.

(4) القاضي الزيني عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم، ولد ونشأ بدمشق قرية السلطان المؤيد شيخ وولاه نظارة الخزانة والكسوة الشريفة، كما حظى عند الملك الأشرف برسباي، وأصبح في عهده عظيم الدولة وصاحب الحل والعقد فيها، تغير حالة في عهد الظاهر جقمق وصدورت أملاكه وسجن، توفي في مصر عام 854هـ/1450م، انظر ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج15، ص552.

(5) باب العجلة: يقع على أحد جوانب المسجد الحرام، ويُفضي إلى باب دار عمرو بن العاص ومما يلي أبواب بني مخزوم، انظر الأزرقي، **أخبار مكة**، مصدر سابق، ج1، ص317.

(6) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج4، ص59-63.

(7) خشقدم الظاهري برقوق الخصي، كان شهماً يحب الصدقة، قيل أنه صاحب الخانقاة الزمامية بمكة وعدة عمائر، وقد أنشأ مدرسته بالجانب الشامي من المسجد الحرام، وقرر بها شيخاً، وغيره من الصوفية، يجتمعون ويقرؤون بعد صلاة العصر، ويهدون ثواب ذلك في صحيفته، توفي عام 839هـ/1435م، انظر ابن حجر العسقلاني، **إبناء العمر**، مصدر سابق، ج8، ص397.

(8) ابن فهد، **الدر الكمين**، مصدر سابق،ج2، ص719.

- **المدرسة الكنبائية:** أسّسها السلطان غياث الدين محمد شاه بن السلطان ناصر الدين أحمد شاه بن السلطان غياث الدين محمد شاه بن السلطان شمس الدين مظفر شاه، سلطان
- كنبايــة[3]، وتُعــرف بالكنباتيــة، وذلــك عــام **(866هـ/1461م)**، وكملــت عمارتهــا عــام **(867هـ/1462م)**[4]، وتقع شمال المسجد الحرام بجوار باب الدريبة[5]، وأوقفها على عشرة من الطلاب على المذهب الحنفي[6].**الدروس الخاصة، ومنها:**
- **درس يلبغا:** قرّر هذا الدرس يلبغا الخاصكي سنة **(763هـ/1361م)** وقد خصّصه لتدريس المذهب الحنفي[7]، وقد تولّى مشيخة هذا الدرس عبد الواحد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر المرشدي **(780-838هـ/ 1378-1434م)**[8]، وذلك في سنة **(832هـ/1428م)**، وقد انتهت إليه الرئاسة في إقراء النحو حيث كان إماماً علاّمة من الأئمة العربية[9].
- **درس الأشرف شعبان:** نصّت حجة السلطان الأشرف شعبان بن حسين على ترتيب مدرّس الحديث الشريف، واشترط عليه أن يكون من أهل الصدق والديانة والعدالة وله رواية ودراية بالحديث، وكان مدرّس الحديث يجلس معهم في أحد أروقة الحرم، أو بمكان يراه المدرّس من الحرم ويبين لطلبته كل ما هو غامض ويبين لهم أسماء الرجال وأحكام الحديث.[10] وممّن

---

(1) يوسف بن عبد الكريم بن بركة الجمال بن الكريم بن السعدي القاهري، ويُعرف بابن كاتب جكم، كانت كاتباً عنه، ولد سنة 819هـ/1416م، له العديد من الآثار في القاهرة ومكة، اتصف بالعقل والوقار وإجلال العلماء، توفي عام 862هـ/1457م، انظر السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق،ج10، ص322-323.

(2) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج4، ص306.

(3) كنابية: من جزر بلاد الهند، يُقصدها تجار الهند، وفيها مسلمون، ولهم فيها مساجد، وهي مشهورة عند تجار المسلمين الذين يمرون من كنباية إلى دلهي، انظر ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، مصدر سابق،ج2، ص52.

(4) ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق،ج4، ص443.

(5) باب الدريبة: ويُعرف قديماً بهذا الاسم، ويقع في الطرف الشمالي الشرقي من المسجد الحرام، أي في ركن المسجد الحرام قبل باب السلام من الجهة الشمالية الشرقية، ولم يُعرف سبب لهذه التسمية في المراجع القديمة، انظر ابن فهد، **إتحاف الورى**، مصدر سابق، ج4، ص432، هامش رقم (3).

(6) ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج4، ص432-433.

(7) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مصدر سابق، ج4، ص439.

(8) السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج5، ص93.

(9) ابن فهد، **الدر الكمين**، مصدر سابق،ج3، ص949.

(10) القحطاني، **أوقاف السلطان الأشرف شعبان**، مرجع سابق، ص94-95.

تولى التدريس بهذا الدرس: كمال الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النويري **(722-786هـ/ 1322-1384م)**، حيث تولّى تدريس الفقه للملك الأشرف شعبان[1].

المكتبات:

ازدهرت المكتبات في مكّة المكرّمة في العصر المملوكي مع انتشار المدارس، فقد كثرت أعداد الكتب التي يتداولها طلاب العلم، وكانت أغلب الأربطة تضم بداخلها مكتبات يرتادها نزلاء الرباط وطلاب العلم. وقد يكون سبب وضع المكتبات بداخل الأربطة إمكانية الإستفادة منها طول الوقت، بخلاف المدرسة التي قد تُغلق في بعض الأوقات من اليوم، وقد كانت هذه الكتب موقوفة في سبيل الله لطلاب العلم، وقد بلغ اهتمام رجال العلم بالكتب وكثرتهم أنه كانت تقام في مكّة مزادات علنية لبيع الكتب ولا سيما الكتب الثمينة ويزيدون في أسعارها[2]، وقد اشتهر بعض الرجال بمهنة دلاّل[3] الكتب ممّا يدلّ على رواج بيعها وكثرة الإقبال عليها بمكّة مثل سعيد بن محمد بن أبي بكر الكوراني[4]، الشهير بالكردي ومن كان يتكسب ببيع الكتب وجعلها مهنة ومورد رزق كريم، ومنهم أحمد الشهاب بن الشريفة القدسي المكي[5]، وأحمد بن محمد بن المولى المقدسي توفي سنة **(873هـ/1469م)**[6] ومن المهن التي تتعلق بالكتب في العصر المملوكي مهنة الناسخ الذي يقوم بنسخ الكتب لمن يريد من طلاب العلم وعادة يكون يُعرف بحسن خطه مثل الشيخ إبراهيم بن محمد بن حسين القاهري المالكي، فقد كان يتكسب من نسخ الكتب.[7]

ومن سلاطين المماليك الذين اهتموا بالعلم وأهله السلطان الأشرف شعبان الذي اهتم بعلوم الحديث والتدريس في الحرم المكي والمدني، فساعد العلماء والمحدّثين على إلقاء الدروس، وعيّن

---

(1) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج2، ص18-20.

(2) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج2، ص362.

(3) الدلال: الذي يجمع بين البيعين، والاسم الدلالة، وهو من ينادي على السلعة لتباع بالممارسة، انظر أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط5، 2011م، ج1، ص294.

(4) السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق،ج3، ص256.

(5) السخاوي، **المصدر نفسه**، ج3، ص254.

(6) ابن فهد، **الدر الكمين بذي العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيس، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 2000م، ج1، ص553.

(7) السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق،ج1، ص137.

مُؤدباً لتعليم عشرة من الأيتام حتى لا ينقطع العلم[1]، ومن أشهر المدارس في مكّة المدرسة الأشرفية التي أمر بإنشائها السلطان المملوكي الأشرف قايتباي سنة **(887هـ/1482م)** بين باب الرحمة والسلام، ضمن مشروع عمارة المسجد النبوي بعد الحريق الذي أصابه سنة (886هـ/1463م)، وأرسل إليها السلطان خزانة كبيرة وكتباً[2].

- **مكتبة مدرسة السلطان قايتباي:** حرص السلطان قايتباي على توافر العديد من الكتب بها ما يفي باحتياجات طلاب العلم بالمدرسة، فقد أرسل خزانة[3] كتب وجعلها وقفاً على الطلبة، وقرّر موقعها بمدرسته خلاف المكتبات الأخرى التي كانت بالأربطة مع أن السلطان كان له رباط بجوار المدرسة، وكانت تحتوي على كتب هامة ونفيسة من ذلك ربعة[4] مكتوبة بالذهب الخالص من أولها إلى آخرها[5].

وحفاظاً على هذه الكتب من الضياع عيّن لها خازناً وحدّد له مرتّباً معلوماً نظير قيامه بإدارة مكتبة المدرسة، وقد كان من نظام هذه المدرسة أنها كانت تعير الكتب لمن يريد الإستفادة، الأمر الذي أفقدها عدداً كبيراً من الكتب، ممّا يدل على كثرة طلاب العلم ولم يبق من كتب المكتبة سوى 300 مجلّد، وقد تولّى الشيخ محمد بن أحمد[6] النهروالي استرجاع بعض الكتب التي قدر عليها من مستعيريها، وقام بصيانتها عندها أصبح ناظراً عليها[7].

---

(1) القحطاني، **أوقاف السلطان المملوكي الأشرف شعبان**، مرجع سابق، ص49.

(2) المديرس، عبد الرحمن مديرس، **المدينة المنورة في العصر المملوكي**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2001م، ص253.

(3) خزانة من المخزن وهو ما يحفظ به الشيء وهو عبارة عن صندوق يُحفظ به الكتب، انظر ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق،ج4، ص87.

(4) هي تجزئة المصحف إلى ثلاثين جزء على حده في كتاب لوحده وتجمع فتسمى ربعة، انظر السباعي، **تأريخ مكة**، مصدر سابق،ص297.

(5) السنجاري، **منائح الكرم**، مصدر سابق، ج3، ص81.

(6) هو محمد بن أحمد بن محمد النهراولي المكي الحنفي قطب الدين، ولد في سنة 917هـ/1512م، له عدد من المؤلفات منها: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، والبرق اليماني في الفتح العثماني وغيرها، وأختلف في وفاته فقيل سنة 990هـ/1582م، وقيل سنة 988هـ/1580م، انظر الزركلي، خير الدين، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط15، ص2002م، ج6، ص6–7.

(7) النهراولي، **الإعلام**، مصدر سابق،ص243.

بالإضافة إلى اهتمام السلاطين المماليك بإنشاء المدارس أهتموا أيضاً بتعليم السنَّة المطهّرة رغبةً في نشر العلم، وكانت تُقام بالمسجد الحرام دورس لجميع طلبة العلم، وكانت عبارة عن حلقات يحضرها كل من أراد أن يتعلم شيئاً من السنَّة، وتدل إقامة هذه الدروس على اهتمام سلاطين المماليك بالسنّة المطهّرة ومن هذه الدروس:

1- درس أقره السلطان الأشرف شعبان كل يوم جمعة من كُتب الصحاح ويكون تاريخ إقامة هذا الدرس بين عامي **(764هـ/1363م)** إلى **(778هـ/1377م)** وهي المدّة التي حكم فيها الأشرف شعبان، وحدّد للشيخ المحدّث مرتّباً وقدره 30 درهماً في الشهر، يُصرف من الأوقاف التي جعلها السلطان الأشرف لأعمال البرّ التي أقامها[1]، وقد درس بهذا الدرس الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم المصري المعروف بالأميوطي[2][3].

2- درس أقامه الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري حيث أمر بقراءة صحيح البخاري في المسجد الحرام، ولم يرد من الشيخ الذي قُرر لتدريس هذا الدرس ويكون إقامة هذا الدرس في المدّة التي حكم بها السلطان جقمق والتي امتدت بين عامي **(842هـ/1439م-857هـ/1453م)**[4]

---

(1) القحطاني، **أوقاف السلطان الأشرف شعبان**، مرجع سابق، ص93.

(2) الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق،ج3، ص162.

(3) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم المصري جمال الدين الأميوطي ولد سنة 715هـ/1316م ، طلب العلم فسمع علم الحديث من عدد العلماء في مصر وفي مكة المكرمة ودرس علم الفقه أيضاً، درس بمكة للسلطان الأشرف شعبان توفي سنة 790هـ/1388م، انظر الفاسي، **المصدر نفسه**، ج3، ص162.

(4) ابن فهد، **الدر الكمين**، مصدر سابق، ج1، ص670.

ISSN: 2709-5312

المبحث الثالث: أوجه العمل الخيري لسلاطين المماليك في مكّة المكرّمة وإنشاء البيمارستانات:

من الأعمال الخيرية التي اعتنى بها سلاطين المماليك، إنشاء البيمارستانات[1]، وقد لعبت البيمارستانات دوراً مهمّاً في البلاد الإسلامية، حيث قدّمت خدمات كثيرة وجليلة منها: تعليم مهنة الطب، وصناعة الأدوية، وتقديم الرعاية الصحية لجميع المرضى من القادرين وغيرهم[2].

ويعتبر البيمارستان مستشفى عام يُعالج فيها جميع الأمراض من باطنية وجراحية ورمدية وعقدية وغيرها[3]، ويُعد العصر المملوكي أحد العصور الإسلامية الزاهرة حضارياً وعلمياً وثقافياً، حيث شهدت مصر وبلاد الشام والحجاز إبّان هذا العصر نشاطاً ثقافياً واسعاً مهّدت له الظروف السياسية التي أحاطت بالعالم الإسلامي في شرقة وغربه بداية من منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فقد جعلت منه مقصد العلماء وطلاب العلم، وخير دليل على ذلك الإزدهار وتلك النهضة وما خلّفه لنا هذا العصر من إرث حضاري في شتى نواحي المعرفة الإنسانية عامة والطب وميادينه وإبداعات رجاله خاصة.

كذلك اهتم سلاطين المماليك بتقديم الخدمات الطبية الضرورية للحجاج من خلال المنشآت الطبية، فقد خصّصت البيمارستانات المرافقة لقوافل الحج منذ بداية خروجها للحج حتى وصولها إلى مكّة، وكانت تُعرف بـ مارستانات السبيل، وقد تسابق أهل الإحسان في الإنفاق على هذه البيمارستانات، وكانت مزودة بالأطباء والممرضين، ويتكونون من طبيب وجراح وأخصائي عيون، وكان هذا الفريق الطبي يحمل معه أنواع من الأدوية والعقاقير والمراهم، وكل مواد الإسعافات في صناديق خاصة بها، والتي اختصت بإعطاء العلاج لكلّ المرضة الذين يمرّون عليه خلال موكب حجهم، أو من كان منقطعاً في الطريق، فيتم إسعافه وتقديم الدواء اللازم له، والكسوة والطعام،

---

(1) البيمارستان: كلمة فارسية معربة مركبة من كلمتين: بيمار، وتّعني مريض أو ضعيف، وستان بمعنى مكان، فهي بذلك تُعني مكان المرضى أو دار المرضى، وقد اختصرت في الاستعمال فسارت مارستان، انظر الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، مصدر سابق، ج3، ص978.

(2) ضاهر، عبد الوهاب مصطفى، **عمارة المجمعات والمباني الطبية (البيمارستانات في الإسلام)**، منشورات موقع الألوكة، مركز دراسات العمارة الإسلامية العالمي، مج10، د.ت، ص14.

(3) وعندما أصابت الكوارث هذه البيمارستانات هجرها المرضى إلا المجانين حيث لم يكن لهم مكان سواها فأصبحت الكلمة مرتبطة بهؤلاء المرضى فقط، انظر عيسى بك، أحمد (ت ١٣٦٥هـ)، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت– لبنان، ط1، 1981م، ص3.

وجميع ما يحتاج له الحجاج بالمجّان، وقيل أن نفقات المعدات الطبية كان أمير الحج يدفعها، كما كان بجانب هؤلاء يستخدم أمير الحج طبيباً بيطرياً[1]، واشترط فيه أن يكون عارفاً بأمراض الدواب وأحوالها، وأن يكون خبيراً في الطب البيطري، ووجد معه مساعدون، كما عُين له راتباً قيل إنه تعدى الثلاثمائة دينار، ومغسلين للجثث[2]، وعندما تصل إلى مكّة كان أطباء هذه القافلة ينضمّون إلى البيمارستانات ليقدموا خدماتهم التي تخصّ الرعاية الصحيّة لكلّ من يفد إليهم من حجاج وغيرهم، وهؤلاء الأطباء كانوا على مستوى عالٍ من المعرفة والدراية[3]، وقد صُنفت البيمارستانات حسب نوع البناء إلى:

1- **بيمارستانات ثابتة:** وكان بناؤها في مكان خاصّ معيّن.[4] وكان هذا النوع موجوداً في معظم البلاد الإسلامية وخاصةً العواصم الكبرى مثل دمشق ومكّة وبغداد، وعادةً ما قسّمت إلى قسمين: إحداها خاصّ بالرجال، والآخر خاصّ بالنساء[5]، بل قُسّم كل مشفى منهم إلى عدّة قاعات: منها قاعة لأمراض البطن، وقاعة للجراحة، وقاعة للكحالة والعيون، وقاعة للتجبير، وأيضاً قسّمت كل قاعة إلى قاعات أخرى صغيرة، فمثلاً أمراض البطن قُسّمت إلى المحمومين (المصابون بالحمى)، وإلى مبرودين (المصابون بنزلات البرد)، ولمن لديه إسهال وغير ذلك، كما وجد لكلّ قسم كبير من ثلاثة إلى أربعة أطباء، حسب إتّساع القسم. كما كان لكلّ قسم رئيس يُشرف على شؤونه، وكان من اللازم تواجد الأطباء يومياً، كما زوّد بها صيدلية وعليها مسؤول يُعرف بـ مهتار[6]، كذلك تتولى البيمارستان تجهيز ودفن

---

(1) الديوة، سعيد، **الموجز في الطب الإسلامي**، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1989م، ص74.

(2) الجزيري، **الدرر الفرائد**، مصدر سابق،ج1، ص217.

(3) السخاوي، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1993م، ج1، ص65.

(4) عيسى بك، **تاريخ البيمارستانات**، مرجع سابق، ص67.

(5) ابن أبي صبيعة، **عيون الأنباء**، مصدر سابق، ص260.

(6) مهتار: لقب من ألقاب أرباب الوظائف من طائفة أرباب الخدم في دولة المماليك، وهو لقب يُطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت السلطانية، ومهتار الشرابخاناه هو المتسلم لحواصل الشرابخاناه أو بيت الشراب، وكانت له مكانة عالية وتحت يده غلمان عدده برسم الخدمة، يطلق على كل منهم اسم شراب دار، وكانت الشرابخاناه تشتمل على كثير من أنواع الأشربة، انظر القلقشندي، **صبح الأعشى**، مصدر سابق، ج4، ص9.

2- من يموت بها، بل تعدى ذلك لمن توفى خارجها[1]، ويتضح من ذلك أن البيمارستان كانت بمثابة مستشفى عام لعلاج جميع الأمراض.

3- **البيمارستانات المتنقلة:** وقد وجد نوعان من البيمارستانات المتنقلة:

أ- البيمارستانات المحمولة أو المتنقلة من مكان لآخر في الحروب والكوارث، وكان معروفاً لدى خلفاء المسلمين وسلاطينهم، وكان بمثابة مستشفى مجهز بجميع ما يحتاجه المريض من مختلف الأودية، وما يلزم من أطباء وصيادلة، وأطعمة وأشربة، وابتكرت خصّيصاً لمواجهة إنتشار الأمراض والأوبئة في المناطق البعيدة عن العاصمة والخالية من بيمارسانات ثابتة.[2]

ب- بيمارستانات السبيل (الحجاج)، ووجد هذا النوع من البيمارستانات المتنقلة خلال العصر المملوكي، وخاصةً في موسم الحج، لأن كثيراً من الحجاج كان يأتي بصحبة محمل الحج المصري أو الشامي، بالإضافة إلى مختلف الأدوية، فكان يرسل بصحبة المحمل جملين محملين بالأدوية لسكان مكّة، فكان قدوم المحمل المصري خير وعلاج على الحجاز بأسره[3].

وقد أكد ابن بطوطة على وجود بيمارستان متنقلة، حيث ذكر أنه بعد أن خرج من مكّة بعد أدائه فريضة الحج وجد ركباً من العراقيين والخراسانيين والأعاجم بجمال ترفع الأدوية والأطعمة والأشربة وبعض الأطباء والصيادلة[4].

(1) أمين، محمد محمد، **وثائق وقف السلطان قلاوون على البيمارستان المنصوري، ملحق بكتاب تذكرة الدبية**، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1977م، ج1، ص303.

(2) عيسى بك، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، مرجع سابق، ص11.

(3) السخاوي، **التحفة اللطيفة**، مصدر سابق،ج1، ص65.

(4) ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، مصدر سابق،ج1، ص411.

ISSN: 2709-5312

ومن البيمارستانات في مكّة خلال العهد المملوكي:

- **البيمارستان المستنصري بمكّة:** يقع البيمارستان المستنصري بمكّة المكرّمة، بالجانب الشمالي من المسجد الحرام قرب باب الزيارة، وهو من تعمير ووقف الخليفة المستنصر بالله العباسي، وقد وقفه سنة **(628هـ/1230م)** على مرضى المسلمين عامّة، أيّ سكّان مكّة والقادمين إليها والمجاورين بها، وظلّ هذا البيمارستان قائماً يؤدّي عمله حتى أهمل وخرب فترة، لكن في سنة **(777هـ/1375م)** أمر الأشرف شعبان بتجديده، ووقف عليه أوقافاً يصرف ريعها سنوياً على مصالحه، وقد بلغ جملة ما أنفقه عليه سنوياً ما يزيد عن ثمانية وعشرين ألفاً وثمانمائة وخمسون درهماً نقرة تصرف على مصالحه سنوياً[1].

وقد خصص الأشرف شعبان للبيمارستان المستنصري كل ما يحتاجه من نفقات جارية، حدّدته حجته وقفة، حيث خصّص مبلغ خمسة آلآف ومائتي درهم، ثمن دقيق وقمح جملته حوالي ستة وسبعون إدرباً وطحنه فإن انخفض السعر اشترى بباقي المبلغ دقيقاً أو قمحاً، كما ذكرت الحجة أنه يلزم توزيع نصف إردب يومياً من الثالث عشر من ذي الحج حتى آخر المحرم في السنة التالية (ثمانية وأربعون يوماً)، حيث يوزع أربعة وعشرون إردباً، وفي حالة ازدياد الدقيق عن ستة وسبعين إردباً، نتيجة انخفاض الأسعار أُضيفت الزيادة إلى هذه المدّة ليستفيد منها أكبر عدد من المرضى والفقراء، أمّا باقي العام يُصرف للناظر كل يوم سدس إردب، بحيث تطبخ وتوزع على المرضى والضعفاء وذوو الحالات المزمنة المقيمة بالمارستان، كما خصّص مبلغ سبعمائة وعشرين درهماً سنوياً للسمن الذي يُطبخ به الدقيق، أي بواقع ستون درهماً شهرياً[2].

وقد ذكر ابن إياس في حوادث سنة **(915هـ/1509م)** أنه عمر على يد السلطان قانصوه الغوري، حيث أمر خاير بك بترميمه وعمارته، وأنفق أموالاً كثيرة.[3]

---

(1) الفاسي، **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة**، تحقيق: على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2001م، ص196؛ **شفاء الغرام**، مصدر سابق،ج1، ص337؛ **العقد الثمين**، مصدر سابق،ج5، ص10.

(2) القحطاني، **أوقاف الأشرف شعبان**، مرجع سابق، ص112.

(3) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مصدر سابق، ج4، ص163.

ISSN: 2709-5312

كما أمدتنا حجة وقف الأشرف برسباي والمؤرخة سنة (827هـ/1423م)، بمعلومات حول صرف مقدار الثمن المعادل لثلاثة أسهم من أربعة وعشرين سهماً من الأراضي والدور الموقوفة على مصالح المارستان الموجود بمكّة المكرّمة.[1]

وكان للبيمارستان المستنصري ناظراً يُشرف على شؤونه وأوقافه، وذكرت المصادر عدداً من النظّار الذين أشرفوا على ذلك خلال الحكم المملوكي، ومنهم: الشيخ محمد بن علي[2]، شيخ رباط الربيع، والشيخ محمد بن سالم البلدي[3]، وقيل إن هذا الشيخ رغم رعايته لوقف البيمارستان، إلاَّ أنَّه أيضاً أوقف أراضي ودور بالشام على البيمارستان المستنصري[4]، كذلك الناظر إبراهيم بن مصلح[5]، تولّى نظارته نيابة عن السيد بركات بن عجلان، فسار فيه أحسن سيرة، وكان يهتم فيه بأمور المرضى الفقراء خاصةً، وقيل أنَّه كان يجمع الفقراء عنده على الطعام كلّ أسبوع مرّة أو مرّتين، واشتهر بأفعاله الخيرة بالبيمارستان[6]، كذلك تولّى إبراهيم بن محمد الكردي[7] نظارة البيمارستان، وفي سنة **(846هـ/1442م)** جدّد في أوقافه مكاناً مجاوراً لباب الدربية، وقيل أنَّه اشتراه من حاصل ريع أراضي له[8].

---

(1) إسماعيل، وليد كمال شعبان، **البيمارستان ودوره في الرعاية الصحية ببلاد الحجاز عصر سلاطين المماليك (648-923هـ/1250-1517م)**، مجلة كلية الآداب- جامعة الفيوم، ع13، 2016م، ص161.

(2) هو محمد بن علي بن محمد بن علي الشمي القدسي الرباطي، نزيل مكة، وشيخ رباط ربيع، والبيمارستان المستنصري، توفي في سنة 834هـ/1430م، انظر ابن فهد، **الدر الكمين**، مصدر سابق، ص231؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج9، ص22.

(3) هو محمد بن سالم بن محمد البلدي، شيخ البيمارستان بمكة، كان ذا مال كثير، توفي في سنة 840هـ/1436م، انظر ابن فهد، **الدر الكمين**، ج1، ص142.

(4) ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج1، ص142.

(5) إبراهيم بن محمد بن مصلح، برهان الدين العراقي الأصل، المكي المولد نشأ في مكة، وعُرف بالدين والأمانة والتودد للناس، فركن إليه بعض الأثرياء وأعطوه الأموال ليفرقها على المحتاجين والفقراء، توفي سنة 853هـ/1449م، انظر ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج1، ص622؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج1، ص167.

(6) السخاوي، **المصدر نفسه**، ج1، ص167.

(7) إبراهيم بن محمد برهان الدين الكردي المكي، نزيل الحرمين، ومؤدب الأطفال بمكة، وله شهرة بالصلاح والخبرة، توفي سنة 853هـ/1449م، ودُفن بالمعلاه، انظر السخاوي، **المصدر نفسه**، ج1، ص170.

(8) ابن فهد، **الدر الكمين**، مصدر سابق، ج1، ص622.

ISSN: 2709-5312

وقد وجد بالبيمارستان المستنصري عدداً من الأطباء يُشرف عليهم رئيس كلّ قسم من الأقسام، ومن ذلك ما ذكره السخاوي أنَّه كان من جملة أطبائه المهرة، الطبيب شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الله الطيب الفاضل، الذي درس الطب، ثمَّ عالج المرضى بالبيمارستان[1].

كما وجد العديد من الجراحين والكحالين، الذين درسوا بالبيمارستان المكّي، ومنهم: محيي الدين أحمد بن الحسين بن تمام، الذي أرسله السلطان الظاهر بيبرس من مصر، للمشاركة في علاج مرضى البيمارستان المكّي مع أقرانه من الأطباء، وأوكل إليه النظر في أموال البيمارستان، وتولّى شؤونه وأحواله[2].

كما وجد به أيضاً أطباء مجبّرين بالبيمارستان المكّي الطبيب الماهر علي بن مسعود بن فيروز البغدادي، نزيل مكّة، وقد اشتهر بمهارته في أمراض العظام، ومكث مدّة بالبيمارستان المكّي حتى وفاته سنة **(655هـ/1257م)**[3].

كذلك وجد عدداً من الأطباء الذين مارسوا مهنة الطب ودرسوا بالبيمارستان المكي، الطبيب المجاور إبراهيم بن أحمد الأردبيلي، توفي سنة **(771هـ/1360م)**[4]، والطبيب محمد بن إسحاق الشيرازي توفي سنة **(805هـ/1402م)**، وكان بارعاً في الطب وتدريسه[5]، كما أسهم الطبيب أبو عثمان المغربي[6] في الرعاية الطبية، حيث قام بدور كبير في ذلك، حتى صار من الأطباء المشهورين بمكّة خلال العصر المملوكي[7]، وبرع الطبيب محمد بن عبد الله الخضري المجاور، وظلّ يدرّس الطب بالبيمارستان المكّي حتى وفاته سنة **(808هـ/1405م)**[8]، كذلك كان الطبيب لطف الله بن يعقوب بن إسماعيل الهمذاني، طبيباً ماهراً، وذكر السخاوي أنَّه عالج أخاه أثناء إقامته

---

(1) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مصدر سابق، ج4، ص190.

(2)ابن سباط، حمزة بن شهاب الدين أحمد (ت926هـ/1519م)، **صدق الأخبار "تاريخ ابن سباط"**، تحقيق: عمر تدمري، جرس برس، بيروت– لبنان، ط1، ص1993م، ج1، ص450.

(3)الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج6، ص268.

(4)الفاسي، **المصدر نفسه**، ج8، ص71.

(5)**المصدر نفسه**، ج1، ص410.

(6)أبو عثمان المغربي: هو سعيد بن عبد الله بن محمد الزواوي المليانى، جاور بمكة سنتين، وكان مشهوراً بالطب بين أهل مكة، وتوفي سنة 801هـ/1398م، انظر **المصدر نفسه**، ج8، ص71.

(7)ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مصدر سابق، ج2، ص346.

(8)السخاوي، **الضوء اللامع**، مصدر سابق، ج6، ص233.

بمكّة، وتمَّ له الشفاء على يديه[1]، كذلك كان من بين الأطباء المهرة والذين درسوا بالبيمارستان المكّي، كذلك الطبيب محمد بن عبد الله بن محمد الكازروني **(874هـ/1469م)** ماهراً في الطب أيضاً[2].

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة موضوع الدور الحضاري والسياسي لسلاطين المماليك في مكّة المكرّمة **(648-923هـ/1250-1517م)**، ولقد توصلتُ إلى عدد من النتائج أهمّها:

النتائج:

1. استطاع المماليك فرض وصياتهم على السلطنة الأيوبية في البداية، ولكنّهم دبّروا مقتل السلطان توران شاه، ثمَّ واجههم توجّه جديد مثله الملك المعز أيبك، يتمثّل في سلطنة مملوكية تستمد شرعيتها من الخليفة العباسي مباشرة، والذي يستمد منه الأيوبيون شرعيتهم، وذلك عن طريق إحياء الخلافة العباسية في القاهرة.
2. اهتم سلاطين المماليك بأمر مكّة المكرّمة وبذلوا جميع ما في وسعهم لإحكام سيطرتهم عليها.
3. كما كانت معركة عين جالوت من المعارك الحاسمة في التاريخ العربي والإسلامي لما ترتّب عليها من نتائج مهمّة أبرزها إعتراف العالم الإسلامي وبنو أيوب بشرعية سلطة المماليك في مصر، كذلك استطاع المماليك التصدّي للمغول، والإستيلاء على بلاد الشام كلّها وأصبحت دولتهم تمتد من الفرات إلى مصر.
4. كان لمكّة المكرّمة مكانة عظيمة في نفوذ المسلمين جعلت منها على مرِّ العصور، وهذه المكانة مصدرها أنَّ مكّة فيها الكعبة البيت الحرام أول بيت لعبادة الله وضع في الأرض وهو قبلة المسلمين في صلواتهم، لذلك أولى سلاطين المماليك اهتماماً خاصاً بمكّة المكرّمة، فكان لهم دوراً في إقرار أمور الحكم في مكّة، فقد تدخّلوا في النزاع حول تولي إمارتها بين أبناء البيت الحاكم، فقد كانت مكّة خاضعة لسلطانهم بعد إعلان الخلافة العباسية في مصر في ظلّهم، وكان للصراع على أمر مكّة آثار سيئة على الأوضاع

(1)ابن فهد، **الدر الكمين**، مصدر سابق، ج1، ص32.

(2)الفاسي، **العقد الثمين**، مصدر سابق، ج2، ص349.

السياسية والأمنية في مكّة المكرّمة، ولكن تدخّل سلاطين المماليك لإقرار الأوضاع بين أمراء مكّة وحرصهم على إستتباب الأمن فيها أدّى إلى إستقرار الأوضاع السياسية فيها.

5. يتضح لنا من خلال العرض السابق عن أوجه العمل الخيري لسلاطين المماليك في مكّة المكرّمة، الأثر الكبير الذي أسهم به سلاطين المماليك في بناء الحضارة الإسلامية المختلفة بالمجتمع المكّي، عن طريق إنشاء المنشآت والأعمال الخيرية، فقد بادر سلاطين المماليك إلى المسارعة في وقف الأوقاف من مبانٍ وأراضٍ وغيرها على مختلف الأغراض الخيرية التي تعود على المجتمع المكّي بالخير، فقد شهدت فترة المماليك نهضة واسعة تمثّلت في إنشاء العديد من المنشآت الخيرية مثل المدارس والمكتبات والبيمارستانات في مكّة المكرّمة.
6. كما شهدت فترة عصر المماليك نهضة واسعة تمثّلت في إنشاء العديد من المنشآت الخيرية مثل: الخوانق والربط والزوايا والأسبلة والمواضئ.
7. ممّا سبق يتضح لنا مدى اهتمام سلاطين المماليك بالمسارعة في عمل الخير ووقف الأوقاف من مبانٍ وأراضٍ وغيرها على مختلف الأغراض الخيرية التي تعود على المجتمع المكّي بالخير، والتي تتمثّل في إنشاء العديد من الخوانق والربط والزوايا والمواضيء في بلاد الحرمين الشرفين.
8. كما كان للدعم المادي الذي قدّمه سلاطين المماليك كان له أثر مهمّ في ازدياد العمل الخيري في الحرمين الشريفين، مثل الأوقاف حيث شهد العصر المملوكي الإكثار من الأوقاف التي دعمت المنشآت الخيرية وساعدت على استمرارها وحماية الفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام والمجاورين والمنقطعين بمكّة المكرّمة.
9. كذلك حرص سلاطين المماليك على التصدّي للسيول والحدّ من آثارها، ولكن على الرغم من الجهود التي بذلت من قبل سلاطين المماليك فإنَّ تلك الأعمال لم تكن كافية تماماً لإيقاف تلك السيول أو الوقاية من ضررها، لأن تلك المنجزات كانت بحاجة دائمة ومستمرة إلى الصيانة.

التوصيات:

1. نوصي بضرورة بعث الفاعلية الحضارية للوقف الإسلامي في حضارتنا المعاصرة عن طريق تنمية مجالات العمل الخيري ليشمل مختلف جوانب الحياة.
2. كما نوصى بدعوة الجميع للإسهام والدعم القوي للعمل الخيري، عن طريق التبرّع أو الوقف الخيري، وهذا الأمر يؤكد تلاحم المجتمع وتعاونه في البناء والتشييد والمصلحة العامة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت630هـ)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط4، 2003م
2. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، بيروت، 1963م
3. ابن الضياء، أبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد ابن الضياء المكي الحنفي (ت 854هـ)، **تاريخ مكّة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف**، تحقيق علاء إبراهيم الأزهري، أيمن خضر الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1997م
4. ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت 1089هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبدالقادر الأنارؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق–بيروت، ط1، 1991م
5. ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرازق بن أحمد الشيباني البغدادي (ت723هـ)،**الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 2002م
6. ابن القاسم، يحيي بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت 1100هـ)، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م
7. ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، مكتبة دار الباز، مكّة المكرّمة، 1984م

8. ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبدالله، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق بيرند راتكه وآخرون، عيسى البابي الحلبي، 1982م
9. ابن تغري بردي، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تحقيق فهيم شلتوت، طبعة مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1983م.
10. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت874هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963م
11. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت 614هـ/1217م)، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت- لبنان، ط1، 1980م
12. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأخرون، الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2013م
13. ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد، 1993م.
14. ابن خلدون، عبدالرحمن، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شهادة، مراجعة سهيل زار، دار الفكر للبطاعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2000م
15. ابن دقماق، إبراهيم بن أيدمر العلائي، **كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت
16. ابن دقماق، أبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي(ت 809هـ)، **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1982م
17. ابن سباط، حمزة بن شهاب الدين أحمد (ت926هـ/1519م)، **صدق الأخبار "تاريخ ابن سباط"**، تحقيق: عمر تدمري، جرس برس، بيروت- لبنان، ط1، ص1993م.
18. ابن عبدالظاهر، محي الدين (692هـ)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبدالعزيز خويطر، دار الرياض، ط1، 1976م.
19. ابن فهد، نجم الدين، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق فهيم شلتوت، مطابع جامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، 1984م.

20. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، ط7، 1988م
21. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري،**لسان العرب**، دادر صادر، بيروت، بدون تاريخ،
22. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الآميرية، 1957م
23. أبي العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م
24. أبي الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي (ت732هـ)، **المختصر في أخبار البشر**، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ
25. انظر ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (779هـ)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، د.ت
26. انظر ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، 1993م.
27. بسط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله (ت 654هـ)، **مرآة الزمان في توازيخ الأعيان**، تحقيق إبراهيم الزبيق، الرسالة العالمية، دمشق–الحجاز، ط1، 2013م
28. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739هـ)، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة البقاع**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط1، 1954م
29. بن الجوزي ، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ) ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2011م
30. بن الديبع، أبي الضياء عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي، **كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة أبو ذر الغفاري، صنعاء، ط2، 1988م

31. بن فهد، عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي (ت923هـ)؛ **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ط1، 1986م،

32. بيبرس المنصوري (ت725هـ)، **مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ**، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1993م

33. الجزري، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي (ت 738هـ)، **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط1، 1998م

34. الجزيري، عبدالقادر محمد بن عبدالقادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي (ت977هـ)، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكّة المعظمة**، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2002م

35. الحضراوي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبده، **مختصر حسن الصفا والإبتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج**، تحقيق: محمد بن ناصر الخزيم، محمد بن سيد أحمد التمساحي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2007م

36. الخزرجي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، عنى بتصحيحه محمد بسيوني عسل، دار الآداب، بيروت- لبنان، بدون تاريخ

37. الخزرجي، علي بن الحسن (ت812هـ)، **العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك**، دار الكتب، صنعاء، ط2، 1981م

38. الخزرجي،علي بن الحسن، **كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، عنى بتصحيحة محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1911م

39. الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، 1989م.

40. الدراقطني، الحافظ علي بن عمر الدراقطني (ت385هـ)، **سنن الدراقطني**، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط1، 2001م

41. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م

42. السخاوي، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1993م

43. السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت

44. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، د.ت.

45. السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني (922هـ)، **خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى (مع زيادات من كتاب وفاء الوفاء)**، دراسة وتحقيق محمد الأمين محمد محمود أحمد، طبع على نفقه السيد حبيب محمود أحمد، د.ت

46. السنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين، **منائح الكرام في أخبار مكّة والبيت وولاة الحرام**، تحقيق جميل عبدالله محمد المصري، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، ط1، ص1998م

47. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (911هـ)، **تاريخ الخلفاء**، دار الفكر، بيروت– لبنان، بدون تاريخ.

48. السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1968م.

49. الصباغ، محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي (1321هـ)، **تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكّة والحرم وولاتها الفخام**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط1، 2004م

50. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ)، **كتاب الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتزكى مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط1، 2000م

51. الطبري، **الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء**، تحقيق أشرف أحمد الجمال، إشراف سعيد عبد الفتاح، المكتبة التجارية، مكّة المكرّمة، 1996م

52. الطبري، **تاريخ مكّة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، تحقيق محسن محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، د.ت

53. الطبري، جمال الأخير محمد بن علي بن فضل الطبري المكي (ت1173هـ)، **تاريخ مكّة: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، تحقيق محسن محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط2، 1413هـ

54. العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت 1111هـ)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1998م

55. العليمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي (ت928هـ)، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، د.ت

56. الفاسي، **الزهور المقتطفة من تاريخ مكّة المشرفة**، تحقيق: على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2001م.

57. الفاسي، تقي الدين أحمد (ت832هـ)، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط1، 1281هـ

58. فهد، **الدر الكمين بذي العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيس، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط1، 2000م

59. فهد، **بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى**، دار القاهرة، القاهرة، 2005م

60. القرماني، أحمد بن يوسف (ت1019هـ)، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1992م

61. القلقشندي، أبو العباس أحمد (821هـ)، **مآثر الإناقة في معالم الخلافة**، تحقيق عبدالستار فراج، طباعة حكومة الكويت، ط2، 1985م.

62. القلقشندي، **مآثر الأناقة في معالم الخلافة**، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت

63. المسعودي، أبي الحسن بن علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ط1، 2005م

64. المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، القاهرة، 1955م

65. المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1997م

66. المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر العبيدي (ت845هـ)، **السلوك لمعرفة الملوك**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1997م،

67. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ)، **أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996م

68. المقريزي، **كتاب المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مطبعة النيل، مصر، 1326هـ،

69. المكي، محمد طاهر الكردي، **التاريخ القويم لمكّة وبيت الله الكريم**، تحقيق عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر – بيروت، ط1، 2000م.

70. النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت1143هـ)، **الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز**، تقديم وإعداد: أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م

71. النهروالي، محمد بن أحمد بن محمد (ت990هـ)، **كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجارية– مكّة المكرّمة، 1996م

72. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 2004م

73. اليافعي، أبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (ت768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1997م

74. اليماني، تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد، **بهجة الزن في تاريخ اليمن**، تجقيق عبدالله محمد الحبشي، محمد أحمد السنباني، طبعة دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط1، 1480هـ.

ثانياً: المراجع:

1. أمين، محمد محمد، **وثائق وقف السلطان قلاوون على البيمارستان المنصوري، ملحق بكتاب تذكرة الدبية**، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1977م
2. أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط5، 2011م.
3. باسلامة، حسين عبد الله، **تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر**، مكتبة الثقافة الدينية، 2001م.
4. الباشا، حسن، **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م.
5. البهجي، إيناس حسيني، **دولة المماليك البداية والنهاية**، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية 2015م
6. الحارثي، عدنان محمد فايز، عمارة المدرسة في مصر والحجاز (في القرن 9هـ/15م): دراسة مقارنة، جامعة أم القرى- مكّة المكرّمة، 1997م.
7. حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والثقافي**، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1991م
8. حسن، علي، **تاريخ المماليك البحرية**، مكتبة النهضة، القاهرة، ط2، 1948م
9. حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، بدون تاريخ
10. الديوة، سعيد، **الموجز في الطب الإسلامي**، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1989م
11. الرشيدي، أحمد، **حسن الصفا والإبتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج**، تحقيق ليلي عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م

ISSN: 2709-5312

12. الزركلي، خير الدين، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط15، ص2002م.
13. السباعي، أحمد، **تأريخ مكّة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، نشر الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة**، المملكة العربية السعودية، 1999م.
14. السليمان، علي بن حسين، **العلاقات الحجازية المصرية زمان سلاطين المماليك**، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1973م
15. الشهابي، قتيبة، **معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين**، وزارة الثقافة، دمشق، 1999م
16. عاشور، سعيد عبدالفتاح، **العصر المماليكي في مصر والشام**، طبعة دار النهضة الحديثة، القاهرة، ط2، 1976م
17. عاشور، سعيد عبدالفتاح، **مصر في عصر دولة المماليك البحرية**، دار النهضة المصرية، 1959م
18. عاشور، فايد حماد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**،قدم له وراجعه جوزيف نعيم، دار المعارف بمصر، مصر 1974م
19. عبد العال، حسن إبراهيم حسن، **فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة**، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1985م
20. عبد اللطيف، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط8، 1968م
21. عبد الله، عبد الرحمن صالح، **تاريخ التعليم في مكّة المكرّمة**، دار الفكر، بيروت، 1973م.
22. علوان، عبدالله ناصح، **صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين (532–589هـ)**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بدون تاريخ
23. عوف، أحمد، **أحوال مصر من عصر إلى عصر**، طبعة العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ

24. عيسى بك، أحمد (ت ١٣٦٥هـ)، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت– لبنان، ط1، 1981م

25. غالب، عبدالرحيم، **موسوعة العمارة الإسلامية عربي–فرنسي–انكليزي**، دار جروس، 1988م.

26. كحالة، عمر رضا، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، ط2، 1964

27. ماجد، عبدالمنعم، **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر: دراسة شاملة للنظم السياسية**، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م

28. محمد سهيل طقوش، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (648–923هـ/1250–1517م)**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط1، 1997م

29. المديرس، عبد الرحمن مديرس، **المدينة المنورة في العصر المملوكي**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2001م.

30. معروف، ناجي، **أصالة حضارتنا العربية**، دار الثقافة، بيروت، 1975م

31. معلوف، لويس، **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، 1956م.

32. النجار، رغدة عبدالكريم أحمد، **أمبراطورية المغول (دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الامبراطورية والصراعات السياسية على السلطة 603–766هـ/1206–1365م)**، دار المنهل، ط1، 2012م.

33. النجيدي، حمود، **الموارد المالية لمصر في عهد الدول المملوكية الأولى**، دار صادر، بيروت– لبنان، ط2، 1994م

ثالثاً: الأبحاث العلمية:

1. إسماعيل، وليد كمال شعبان، **البيمارستان ودوره في الرعاية الصحية ببلاد الحجاز عصر سلاطين المماليك (648-923هـ/1250-1517م)**، مجلة كلية الآداب- جامعة الفيوم، ع13، 2016م.
2. ضاهر، عبد الوهاب مصطفى، **عمارة المجمعات والمباني الطبية (البيمارستانات في الإسلام)**، منشورات موقع الألوكة، مركز دراسات العمارة الإسلامية العالمي، مج10، د.ت.
3. عبد الحميد، عفاف عبدالجبار، **الإصلاح العمراني في عهد السلطان قانصوة الغوري (906-922هـ/1500-1516م)**، مجلة آداب المستنصرية، العدد88، كانون الأول 2018م.
4. عبد العزيز بن راشد، **المجاورون في مكّة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (570-660هـ/ 1174-1261م)**، بحث مقدم إلى ندوة مكّة المكرّمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ
5. عبد القادر، عمر، **محطات مشرقة من تاريخ المماليك: عين جالوت أنموذجاً**، جامعة أحمد دراسة أدرار- مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، مج10، ع1، 2022م
6. القحطاني، راشد بن سعد بن القحطاني، **أوقاف السلطان المملوكي الأشرف شعبان على الحرمين**، مجلة البيان، الرياض، ع 312، تموز 2013م.
7. المنديل، شريفة بنت صالح، **ملامح التطور العمراني للمنشآت المدنية في مكّة خلال عصر المماليك الجراكسة (784-923هـ/ 1382-1517م)**، مجلة رسالة المشرف، جامعة القاهرة- مركز الدراسات الشرقية، مج28، ع1، 4، 2013م.
8. الهمزاني، بندر بن محمد بن رشيد، **أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية في مكّة في القرنين السابع والثامن**، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، ع20، 2001م.

رابعاً: الرسائل العلمية:

1. زكريا، ماجدة فيصل، **منائح الكرم في أخبار مكّة و البيت وولاة الحرم**، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى- مكّة المكرّمة، 1994م.
2. السالمي، عبد الحفيظ بن حمدي بن حامد، **الحياة الدينية في مكّة المكرّمة خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1257-1517م)**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكّة، 1424-1425هـ.
3. السالمي، عبد الحفيظ بن حمدي بن حامد، **الحياة الدينية في مكّة المكرّمة خلال العصر المملوكي (648-923هـ)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1425هـ.
4. شافعي، حسين عبد العزيز، **الرباط في مكّة المكرّمة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1995م
5. الشهري، محمد هزاع، **عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي (648-923هـ)**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكّة المكرّمة، 1982م.